

رحلة الي قصر النهاية

مستلة من كتاب تاريخ القرويني

المجلد الخامس الطبعة الاولى

بيروت 1433

بقلم

السيد حسن شبر

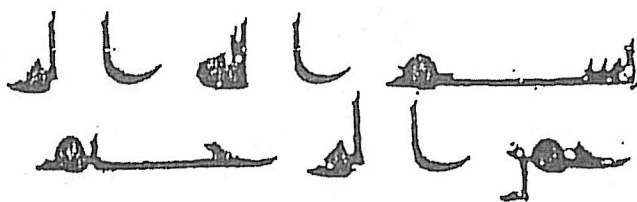
السجين الطليق عام 1391



The Open School

P.O. BOX 53573

CHICAGO, IL 60653 - 0398



البسملة مقتبسة من

صفحة من القرآن الكريم المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تحتوي على الآيات ١-٣ من سورة البروج المحفوظة في خزانة الروضة الحيدرية في النجف الأشرف - العراق

وصفها كوركيس عواد بقوله: «نسخة مكتوبة بالخط الكوفي الأول العريض، على الجلود المصقولة، لونها عسلي فاتح، ووضعها كالسفينة، يسقط من أولها وآخرها أوراق والباقي منها ١٢٧ ورقة، مقياسها ٢٩ × ١٩,٥ سم تنسب كتابتها إلى الإمام علي (ت ٤٠هـ) و للتفصيل راجع كتاب دراسة حول القرآن الكريم الصفحة 81 طبعة بيروت 1422.

ترجمة المؤلف

مقتبسة من كتاب تاريخ القزويني

المجلد 5 (66-67...)

طبعة بيروت 1433

حسن شبر

السيد حسن بن السيد إبراهيم بن السيد محمد بن علي بن حسين بن السيد عبد الله شبر الحسيني.

وُلد بالنجف سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، ودرس في المدارس الأميرية، كما درس في كلية متدلي النشر سنة ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م. وواصل دروسه الحوزوية على جملة من الأساتذة منهم الشيخ هادي القرشي، وغيره، في الدروس الأولية، ثم حضر على جملة من علماء النجف في الفقه وأصوله منهم السيد محمد حسين الحكيم، والشيخ علي سماكة الحلّي والشيخ محمد رضا المظفر.

اقترب بآبنة عمّه السيد قاسم شبر (قُتل بالعراق سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م وانتقل إلى بغداد سنة ١٩٦٠م بسبب الضيق المادي الذي عاشته النجف فتخلّى عن زيه الديني، واشتغل بالعمل الحرّ، ثم أكمل دراسته في كلية الحقوق وتخرّج فيها سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

وبعد ظهور الحركة الإسلامية انخرط في صفوف حزب الدعوة الإسلامية، وأصبح فيما بعد من كوادره العليا.

وقد تعرّض للاعتقال مرّات عديدة، كان أشدّها اعتقاله عام ١٩٧١م الذي كتب جملة من أحداثه، ونشرها تحت عنوان «صفحات سوداء من تاريخ بعث العراق».

وقد أمّحنَ بفقد أولاده، ومقتل علماء أسرته؛ فقد عمّه السيد قاسم شبر في الهجمة التي طالت الإسلاميين سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م قبل أن تبدأ السلطة العراقية

بشّن الحرب ضد إيران عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م التي دامت ثماني سنوات. كما فقد ولده الأكبر المهندس رياض الذي أُعدم في ١٧ آذار ١٩٨٠م، بعد اعتقاله في ١٣/١١/١٩٧٩م.

وبعد هروب السيد حسن شبّر إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية في ٢٥ آذار ١٩٨٠ اشتغل ضمن صفوف المعارضة الإسلامية، وتولّى المسؤولية القيادية ضمن قادة حزب الدعوة، وقام بنشاط ثقافي وتبليغي، وسفّرات إلى دول عديدة.

وفي إيران فقد ولده الثاني محمداً عندما قُتل في ٢٧ ذي الحجة ١٤٠٦هـ/ ١ أيلول ١٩٨٦م، وهو يُقاتل ضمن صفوف القوات العراقية الإسلامية التي تقف ضد الجيش العراقي، وقد تلقى خبر استشهاده عندما كان يقوم بجولة في عاصمة المملكة المتحدة (لندن)، رابط الجأش لم تؤثر به الصدمة رغم قسوتها البالغة. حيث توافد عليه المعزّون لتسليته وتهنئته بمقام الشهادة.

وفي عام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م فقد ولده الثالث في حادث غامض عندما تسلّل إلى منطقة شمال العراق ثم وُجد ميتاً (هكذا بلغني الخبر) في بعض مستشفيات سوريا، فكتبْتُ له معزياً هذه الرسالة بتاريخ ١١/٧/٢٠٠١م:

أيا حسنَ الفعل يا ابنَ الكرام وغرّة تاج بني (شبّر)
ويا نسرنا في سماء الخطوب تساميت من طيب العنصر
إذا واجهتك صروف الزمان وهبت لها صبرك العبقري

تلقيتُ ببالغ الأسى والأسف خبر رحيل ولدكم المبرور إلى دار الخلد، فظوبى للشهداء. إنّ مصائبكم آل البيت على مقدار إخلاصكم الذي تميزون به، وإنّ انطفاء هذه القناديل الثلاثة لهو وسامٌ أراد الله أن يُتوّج تأريخكم به. ولستُ معزيك اليوم أيّها الشهم المُتفرد، فمنك يُستوحى العزاء، ويُرتجى الصبر والسلوان.

أبا الفتية الأشبال من آل شبّر لك الله لما قد تقاذفك الفقد
رأيناك نسرًا كُلّما لاحَ بارق تعاليت حتى عادَ يحسّدك المجد

سيرة السيد محمد باقر

رحله إلى قصر النهاية

هذه الصفحات هي رحلة كان السيد حسن شبر قد قضّاها في أروقة «قصر النهاية» ودهاليزه بعد إعتقاله الذي دام (٩٨) يوماً. وقد لاقى فيها ما لاقى من صنوف الإمتهان الجسدي والنفسي. وقد سجّل صفحاته هذه في كتاب أصدره بعنوان «صفحات سوداء من تاريخ بعث العراق»، أصدره عند إقامته في إيران أيام الحرب العراقية الإيرانية تحت إسم عبد الحميد العباسي، وهو إسم مستعار حاول أن يتخفّى به. وقد استلث منه ما يخصّ أوراق اعتقاله وحاولت تنقيح النصّ، وحذف المكررات منه، وإبدال بعض عناوينه وإضافة عناوين ثانوية له. فكانت هذه الرحلة التي سميتها «رحلة إلى قصر النهاية» تحكي مسيرة حقبة زمنية عاشها العراقيون في فترة حرجة من فترات تاريخهم الداعية إلى القهر والاضطهاد، وعمق المأساة. وقد سبق أن أوردت ما يشبه هذه الرحلة في ترجمة الملا أصغر علي محمد جعفر، رئيس جماعة الخوجة العالمية عندما كتب أوراقاً بعنوان: «كنتّ سجين صدام»، لدى زيارته العراق واعتقاله أربعة شهور ويومين.

نصّ الرحلة: عندما اعتقل عبد الصاحب دخيل (أبو عصام) في ١٨ أيلول ١٩٧١م، وقتل بعد ثلاثة شهور من اعتقاله كنتّ أول من علم بذلك، فحدّثني نفسي أنني سوف أتبعه في المصير للعلاقة التي كانت بيننا. رجعت إلى مكتبي وكنتّ أحتفظ بكثير من أدبيات حزب الدعوة، وأسماء الأخوة الدعاة،

(١) لم يكن الأمر هكذا، فقد كان السيد بدر الدين متعاطفاً مع الشهيد الصدر، ولم تكن هناك أيّة ضديّة بينهما. وقد ذكرت طرفاً من هذا اللقاء في ترجمة السيد علي بدر الدين، فليطلب هناك.

فعمدتُ إليها جميعاً، فأخفيتُ قسماً منها، وأخرجتُ القسم الآخر. وأوصيتُ أهلي بوصاياي و (خاصة ولدي الشهيد رياض). فكان رياض: يسألني لماذا هذا الاهتمام وهذه الوصايا؟ قلتُ له لا بأس، على الإنسان أن بوصي دائماً، وفي الحديث: «لا يبيتن أحدكم إلا وله وصي».

لقد كان حدسي مصيباً، فبعد (٢٨) يوماً من اعتقال الشهيد أبي عصام، أي في يوم ٢٦/ ١٠/ ١٩٧١م الموافق ليوم الثلاثاء ٦ رمضان المبارك ١٣٩١هـ، وفي الساعة الثانية بعد الظهر تماماً، جاءني أحد الأشخاص وقال لي: ينبغي أن أذهب معه إلى الشرطة لساعة واحدة وأرجع. لم يكن هذا الكلام مفاجأة لي، فقد كنتُ وإيَّاه على موعد. طلبتُ منه أن يمهلني نصف ساعة فأبى. ثم طلبتُ منه خمس دقائق فأبى.

عندما ذهبْتُ معه، وجدتُ شخصين آخرين كانا ينتظراني أيضاً، اصطحبوني، وأركبوني سيارة قريبة من المكان. قاد أحدهم السيارة، وبقينا نحن ثلاثتنا في الخلف، كنتُ أنا في وسطهم. في السيارة قالوا لي: سوف لن تعود، ولن تذهب إلى الشرطة، وإنما لمكان آخر.

كان مكان الاعتقال بالنسبة للمدنيين إمّا في مديرية الأمن العامة في الجانب الشرقي من بغداد (الرصافة)، وإمّا في قصر النهاية وهو في الجانب الغربي (الكرخ)^(١). وعندما عبرت السيارة إلى جانب الكرخ عرفتُ أننا متجهون إلى قصر النهاية.

كانت أخبار قصر النهاية قد طبّقت العراق لما يمارس فيه من أنواع التعذيب وفنون الإرهاب، وكان الذي يدخل فيه، يندر أن يخرج منه بسلام، وهو لسعته، ولما يحيطه من أرض واسعة كان يتخذ مدفنًا للذين يكتب عليهم أن تنتهي حياتهم في هذا القصر المشؤوم. في السيارة قالوا لي: إننا ذاهبون بك إلى مكان ما،

(١) كان قصر النهاية قصرًا للأمير عبد الإله، وكان يُسمّى قصر الرحاب. وبعد الإطاحة بالحكم الملكي سنة ١٩٥٨م أصبح هذا القصر إحدى المعتقلات المُرعبة بعدما أُضيفت إليه أقسام عديدة. وهو مكان كبير يُحاط بأرض واسعة وأسوار عالية تجعله صالحاً لأن يكون معتقلًا لأنه بعيد عن أنظار الناس.

وسوف تسأل هناك عدة أسئلة، عليك أن تجيب عليها أجوبة صحيحة، وإلا فإنك سوف تلقى مصيراً مؤلماً. قلت لهم: وهو كذلك، سوف أجيب الجواب الصحيح. لكنني قرّرتُ أمراً آخر، فقد صمّمتُ أن لا أعترف لهم بشيء أبداً، حتى لو كان في ذلك نهاية حياتي. وصمّمتُ أن أتحمّل التعذيب مهما كان ولا أدعهم يفهمون شيئاً مني. كنتُ أعتقد أنهم سوف يقضون على حياتي حتماً. فأيهما خير لي: «أن أعترف بالدعوة وأسرارها وبأسماء الدعاة ثم أموت، أو أن ألقى الله وأنا راض مطمئن لم أفش سرّاً للحزب؟! لقد اخترتُ لقاء الله بكل ثقة».

سارت بنا السيارة، ووصلنا قريباً من جسر (الخِرّ)، ثم انحرفت إلى اليمين قليلاً، وكانت هناك عارضة خشبية وحرس، ففتحوا لنا الطريق رأساً، ثم عارضة أخرى، وثالثة، ثم وصلنا باحة القصر الداخلي. أوقفوا السيارة واصطحبوني معهم، ثم أدخلوني إلى غرفة واسعة جيدة الأثاث، يجلس في مقدمتها وراء طاولة كبيرة وأنيقة شاب أسمر نحيف كانوا يدعونه أبا (فيصل). (عرفتُ فيما بعد أنه حسن المطير^(١) من أهالي الحلة)، سلّمْتُ عليه، وحاولتُ على سجيّتي أن أجلس على أحد المقاعد فابتدرني، وأنا لم أزل في عتبة الغرفة وسألني عن إسمي، وعمر، وعملي، وسكنائي، فأجبتهُ عن ذلك. ثم سألني عن علاقتي بحزب الدعوة الإسلامية، فقلتُ له: إنني أسمعُ منك الآن بهذا الحزب. ثم سألني سؤالاً آخر، فحلفتُ له بالله عدم معرفتي بذلك فسبّني بأقذع الكلمات، وقال لي: (ألعن أبوك لا بو الله)!

أول الغيث قطر: ثم أشار على الجلاوزة الذين كانوا يحيطونني فابتدأهم شخص خلع نظارتي من على عيني، ثم أخذ هو وبقية الجلاوزة يضربونني بأيديهم، وأرجلهم ضرباً مبرحاً. فسقطتُ على أرض الغرفة، فأقاموني ومارسوا العملية من جديد: قال لي ماجد: (لَكَ اعترف أحسن لك تراه إحنا جينا حتى نقضي على الأحزاب). ثم أمرهم أبو فيصل أن يأخذوني إلى غرفة أخرى لمدة عشر دقائق، وقال لهم دعوه وحده يفكر في مصيره قبل أن نأخذ روحه، فعسى أن يرعوي، ويعترف لنا عمّا نسأله.

(١) أعدم في قضية ناظم كزار.

أخذوني إلى غرفة مجاورة، أجلسوني فيها وذهبوا. بقيتُ وحدي عشر دقائق. (والواقع أنني استفدتُ من هذه الفترة القصيرة، فقد ربّيتُ بعض الإجابات لبعض الأسئلة المحتملة). ثم جاؤوا وأرجعوني إلى أبي فيصل، فسألني الأسئلة نفسها التي احتملتها. قال: ما هي علاقتك بالسيد داود العطار. قلت: زميلي في كلية الحقوق، وكنا نتبادل الكتب والمعلومات الدراسية.

قال: وعلاقتك بعبد الصاحب دخیل (أبو عصام)؟! قلت: كلانا من النجف، ونسكن متجاورين في زقاق واحد، علاقتي به منذ الصغر. قال: وعلاقتك بحزب الدعوة؟ قلت: قلتُ لك إنني أسمع منك الآن بهذا الحزب!

ثم سألني عن أشخاص آخرين، وقضايا أخرى، كنتُ في جوابي أنفي معرفتي بهم تماماً. فأخذ يسبني ويشتمني بكلام بذيء جداً، كانت كلمة (گوّاد) أفضل كلمة ينطق بها. ثم أمر ماجد الشكره أن يأخذني ويقتلني.

ذهبتُ مع ماجد، وأنا مطمئن سوف ألقى الله، وهو راضٍ عني. سرنا في طريق ملتوّ يعلّ فيه النور، وعلى جانبيه زنانات كنتُ أسمع منها أنين المعذبين، كما رأيتُ شخصين، أحدهما كان مربوطاً بالحبل على إحدى الأسطوانات والآخر مربوطاً إلى أحد الشبايك.

أدخلني ماجد الشكره إلى زنانة مظلمة، كان في أعلاها مصباح صغير لا يكاد يُضيء. كانت مساحة الزنانة تقدّر بثلاثة أمتار في أربعة، وارتفاعها حوالي ثلاثة أمتار. ليس فيها شباك. وإذا أطفئ مصباح الكهرباء الصغير تكون مظلمة تماماً. كان فيها ثلاثة كراسي من حديد، مشدودة إلى الأرض شدّاً، وكل كرسي ينتصب خلفه عمود حديد بارتفاع مترين تتصل به حلقة حديدية على شكل نصف دائرة قطرها ٢٥ سم فيها عتلة يمكنها أن توسع هذه الحلقة وتضيّقها وترفعها وتخفضها. هذه الحلقة مبطنة من الداخل بإسفنج تحته إبر صغيرة، وفي أعلى العمود حنفية ماء.

في الغرفة أيضاً بكرة حديد مثبتة على الأرض ترتبط بها سلسلة حديدية مثبتة في السقف، يتدلى منها حبلان آخران مصنوعان من القطن. وعلى أحد الكراسي

سوط حديد. هو في الواقع سلك كهربائي بسمك سنتيمتر ونصف مغلف بغلاف بلاستيكي أسود. وجدران الغرفة وأرضيتها فيها آثار لإطلاق عيارات نارية، وفيها بقع من الدماء. والمفتاح الكهربائي مكسور منه غطاؤه، ربّما بسبب الضرب العشوائي الذي يمارس ضد المعذبين. وليس في الغرفة أيّ منفذ للهواء عدا ثقب صغير في السقف بقطر عشر سنتيمترات.

عندما أدخلني ماجد الزنزانة، أجلسني على أحد هذه الكراسي وقال لي انتظر قليلاً فسوف تخرج روحك. جلستُ قليلاً وبدأ يسحب الحبل، ثم أمرني أن أقف وشدّ يديّ، كل واحدة على حدة، بطرفي الحبل، بعدها خلع نظارتي ثم وضع قطناً كثيفاً على عينيّ وألبسني نظارة كبيرة كتلك التي يلبسها السباحون، ثم بدأ بإدارة (البكرة) فارتفع الحبل قليلاً قليلاً وانسحبت يداي إلى الوراء، فارتفعت عن الأرض تماماً. ثم أغلق الباب الحديد عليّ وذهب. كان ذلك في الساعة الثالثة بعد الظهر تقريباً. ولم أشعر بأذى لأول وهلة، فصلّيتُ وأنا على هذه الحالة، معلقاً بين السماء والأرض، صلاة الظهر والعصر بعدما تبيّنتُ القبلة عند دخولي للغرفة.

بقيتُ على هذه الحالة نصف ساعة كأنّها عملية رياضية عادية، وإنّ كانت شاقة نوعاً ما. فتذكّرتُ إخواني الذين تتلوّى على ظهورهم السيّاط في الزنانات الرهيبة، وما أصاب المؤمنين على مرّ التاريخ، وسرحتُ بفكري إلى الصفوة المختارة التي أرست قواعد الإسلام من أمثال عمار، وسُمية، وبلال الحبشي. ثم بدأت أشعر بألم شديد في ظهري وكتفي، فأخذتُ أستغيثُ بالله بصوت هادئ أولاً، ثم ارتفعتُ إستغاثتي حتى بلغتُ مسامع الجلاوزة.

جاءني أحدهم وكنّ معصوب العينين وضربني بالسوط الحديد على رأسي وظهري ورجلي وسائر المواضع الأخرى، وشتمني لأنني أزعجتهم بصياحي. ثم شدّ الحبل وضيّقه أكثر من ذي قبل بحيث ارتفعت يداي من الخلف إلى الأعلى أكثر مما سبق. وتركني على هذه الحالة، وذهب بعد أن أغلق الباب الحديد.

تحملتُ الآلام قليلاً، ثم عاودتُ الصياح والاستغاثة. وكان إلى جانب

زنزانة التعذيب هذه زنزانة أخرى فيها أحد الأكراد يظهر أنه أصيب نتيجة التعذيب الوحشي بلوثة في عقله. فكان هو الآخر يستغيث من آلامه، ولا يُغاث، ويتكلم بكلمات تضحكني أحياناً، وأنا على حالتي هذه. وبين حين وآخر يأتي أحد الجلاوزة ليضربني ويشتمني كلما علا صياحي واستغاثتي ثم يشدّ الحبل أكثر ويذهب. جاءني أحدهم، وقال لي: أذن أذان المغرب فهل تريد ماء؟ أجبتُه بالنفي، لأنني خشيت أن يكون كاذباً فيفسد عليّ صومي.

وفي الساعة الثامنة أنزلوني، وفكّوا الحبل وأطلقوا يديّ، وسمحوا لي بالذهاب إلى المرافق، فذهبتُ وطهرتُ يديّ من أثر الدماء التي نذفت جراء الضرب بالحديد. ورجعتُ إلى زنزانتني فوجدتهم قد أعدوا إناءً فيه ماء، وإناءً آخر فيه قليل من الحساء و(صمونة). والإناءان قدراً جداً بحيث تشمئز منهما النفس، فأفطرت على قليل من الماء، ثم طهرتُ رأسي من أثر الدماء بحنفية الماء الموضوعة فوق الكرسي الحديدي، وتوضأتُ ووقفتُ أصليّ الله تعالى. ثم استولى عليّ الإعياء والإرهاق فخلعتُ حذائي، ووضعتُه تحت رأسي، ونمتُ على أرضية الزنزانة.

نمتُ ليلةً هادئةً كبقية الليالي، ثم استيقظتُ قبيل الفجر، وتسحّرتُ بالماء فقط. وصليتُ صلاة الفجر، وقرأتُ بعض الأوراد والأدعية التي كنتُ أحفظها. وما إن أنكشف الظلام حتى سمعتُ صياح الجلاوزة، وأنين المعذبين، ووجدتُ السوط الحديد أمامي، والبكرة، والكراسي. تمنيتُ لو كنتُ أستطيع أن أحطّم أجهزة التعذيب هذه، إلّا أنني تناولتُ السوط الحديد وألقيته داخل أحد الأعمدة المنتصبة خلف الكرسي. وعندما حلّ وقت الظهيرة، أسرعْتُ للصلاة قبل أن يعودوا إلى تعذيبني. وبينما أنا مشغول بالصلاة فتح الباب أحد الجلاوزة فرآني أصليّ، أشار عليّ بإتمامها. فصليتُ الظهر فقط، وتوجّهتُ إليه. قال لي: قم معي. ذهبْتُ معه إلى حسن المطير (أبو فيصل) فأعاد عليّ نفس أسئلة اليوم الماضي. وأعدتُ عليه الأجوبة نفسها، لا أعرف، لا أعرف، لا أعرف. وبعد الضرب والشتم قال لجلاوزته: خذوه.

أعادوني إلى زنزانتني، وربطوني كما ربطوني في اليوم السابق، فنظمتُ عدّة

أبيات شعر، وأنا على تلك الحالة، غاب من ذاكرتي أكثرها، وأثبتها هنا على ما فيها، إنها نفثات مكلوم، وأناأت معدّب:

إلهي هل ترى أني أعودُ	فيُجمعُ شملُنَا ويكون عيدُ
وأسمع صوت أطفالِي صغاراً	ويملاً قلبِي الطفلُ الوليدُ
فإنني يا إلهي في ظلام	يعذبني المخنثُ والبلیدُ
كلامُ كلّه شتمٌ وسبُّ	وتطويق وتعذيب شديدُ
فشدّ لليدين إلى وراءِ	بحبلٍ أنّه حبل حديدُ
وإنني في سبيلك لا أبالي	وليس يُخيفني الصلف العنيدُ

كما حدث في اليوم السابق عندما كنتُ أستغيث كانوا يأتون فيضيّقون الحبل ويضربونني. لكنّهم هذا اليوم عندما لم يجدوا أمامهم السوط الحديد كانوا يكتفون بركلي بأرجلهم، ولما كنتُ معلقاً ويدي مسحوبتان من الخلف فقد كان وضعي كمن هو في حالة الركوع، فقد رفع أحدهم رجله وضربني بحذائه على رأسي، وأحدث لي شخراً في مقدمة الرأس. كان هذا المجرم هو عبد الأمير، وكانوا يدعونه (مصعب).

في تمام الساعة الثامنة مساءً أنزلوني، وقد بلغ بي الإعياء مبلغاً. كنت صائماً لليوم الثاني، وما أفطرتُ إلّا على الماء، أحس بالجوع ولا أشتهي الطعام. عندما حلّوا وثاقي ورفعوا القطن من على عيني، وجدتُ أنني كنت أدور حول نفسي من حيث لا أدري. فقطرات العرق الذي كنتُ أتصبّبه على الرغم من برودة الجو كانت تشكّل شبه دائرة. تركوني وحيداً ثم ذهبوا. قمتُ وطهرتُ رأسي من أثر الدماء، ثم وضعتُ حذائي تحت رأسي، واستسلمتُ للنوم.

أمام مدير الأمن العام: جاؤوني صبيحة اليوم الثالث، وذهبوا بي إلى غرفة المجرم حسن المطير، لكنه في هذا اليوم كان يجلس ناحية الغرفة بينما يجلس إلى صدرها شخص آخر عرفتُ فيما بعد أنّه رئيس عصاة مجرمي أمن العراق إنه السفاح (أبو حرب) ناظم كزار. عندما دخلتُ قدّمني أبو فيصل إلى ناظم كزار أنني (مجرم خطر) لا أعترف أبداً، وأنّ لي موقعاً هاماً في حزب الدعوة

الإسلامية وأنّ لديهم اعترافات متكررة عليّ ، مضافاً إلى معلوماتهم الخاصة .
دارث بيني ، وبين ناظم كزار هذه المناقشة : قال ناظم كزار : أَلستَ حسن إبراهيم شبّر؟ قلت : نعم .

- وتسكن في النجف؟

- نعم .

- أكملتَ دراسة الحقوق عام ١٩٦٥؟

- نعم .

- أخوتك فلان وفلان؟

- نعم .

- ما هي علاقتك بحزب الدعوة؟

- إني الآن أسمعُ منك بهذا الحزب .

- أتعرف هذا الحزب؟

- قلتُ لك إني أسمعُ منك بهذا الحزب .

- أتعرف ناظم كزار؟

- نعم .

- مَنْ هو؟

- إنه مدير الأمن العام .

قال : ستعرف من هو ناظم كزار ، إنه أنا ، وإنك اليوم بين يدي . إمّا أنْ تعترف ، وإمّا أنْ تجدَ مصيراً محتوماً .

قلتُ : بماذا اعترف إذا لم أكنْ أعرف شيئاً؟ قال : لا تعرف كلَّ شيء؟ ما هذه العلاقة الوطيدة بينك ، وبين صاحب دخيل؟

- قلت سابقاً لأبي فيصل إنّها علاقة منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، منذ كنّا صغيرين في النجف .

- وداود العطار؟

- قلت كذلك لأبي فيصل إنّها علاقة زمالة في الكلية .

قال: وهذه الإضبارة (أشار إلى إضبارة كانت أمامه على الطاولة) علاقتك معها علاقة صداقة أيضاً؟ لقد اعترف عليك الكثيرون. قلتُ: إنَّ من الناس مَنْ لا يخشى الله، إنَّهم يكذبون عليّ. فصاح بي صيحة كأنَّه كلب متوحش، ثم أشار إليهم فتناوب عليّ خمسة، كانوا رهن إشارته، وبدأوا بي ضرباً بالأيدي والأسواط. سقطتُ على أثرها على الأرض ثلاث مرات، كانوا يُنهضون بي ليواصلوا عملهم. ثم أمرهم أن يأخذوني للحدّاد. فسحبوني من أمامه، وأنا لا أعلم مَنْ هو هذا (الحدّاد)، وما المقصود به؟

ذهبوا بي إلى زنزانة التعذيب نفسها، لكنهم أجلسوني على أحد الكراسي، ويا ويل ما فعلوا! ربطوا أرجلي إلى قوائم الكرسي، كما ربطوا يدي بأحزمة مشدودة بالكرسي نفسه، ثم شدُّوا حنكي بحزام إلى رأسي ووضَعوا قطعاً كثيفاً على عيني، وطَوَّقوا رأسي بالطوق الحديد المُبَطَّن بالإسفنج ذي الإبر الصغيرة، ثم بدأوا بتضييق الطوق فأحسستُ بآلام لا يمكن وصفها، أو التعبير عنها. وبقيتُ لا أستطيع أن أحرك يدي، ولا رجلي، ولا رأسي. وبالإضافة إلى ذلك فقد عصبوا عيني، ثم بدأوا يقلعون أظافر إبهاميَّ الاثنين من رجلي وأحسستُ كأنَّ رُوحِي قد انفلعت معهما، وهم لا يجدون مني أية مقاومة، ولا يسمعون أية استغاثة. كنتُ أسمعهم يتضاחקون، ويُرسِلون الشتائم، والكلمات البذيئة. ثم فتحوا حنفية الماء على رأسي بحيث ترسل قطرات الماء باستمرار، ثم تركوني وذهبوا والدم ينزف من رجلي ومن رأسي من تأثير غرز الإبر.

كانت قطرات الماء تتقاطر على رأسي، وكنتُ أحسّ بعد عشر دقائق كأن رأسي أصبح كالطبل، إذ تحدثُ فيه هذه القطرات دويّاً عظيماً. لا أعلم بالضبط كم بقيت على هذه الحالة، فهم عندما حلوا وثاقي وجدتُ من الثقب الصغير الذي في سقف الغرفة أنَّ الليل إدلهم وأنهم سرقوا ساعتِي وأن الدماء سالت على جبیني ولوثت جميع ملابسي. جاءني المُضْمَدُ وضمَّد جراحاتي بسائل فيه حرقه شديدة، كان أشدَّ ألماً من عمليتي القلع والغرز. لم أنم تلك الليلة من شدة آلامي، وبقيتُ أوصل الأنين إلى الصباح، ولم يرجعوا لي ساعتِي، وقد كنتُ أستفيدُ منها كثيراً لمعرفة أوقات الصلاة.

في صباح اليوم الرابع أخرجوني من زنزانتني، وذهبوا بي إلى سيدهم مدير دائرة الإجرام العامة ناظم كزار، وأنا أكاد لا أستطيع المشي، وأحاول أن أسير على مؤخرة قدمي، وأدخلوني عليه، وجرت بيننا هذه المناقشة:

ناظم كزار: ها گواد شنو رأيك؟ تونست البارحة؟ (أيها القواد ما رأيك في ليلة البارحة، هل كانت مريحة)؟!

أنا - سكوت.

هو - كيف وجدت التعذيب؟

أنا - إنه بعين الله وهو يرى.

هو - ألعن أبوك لأبو (...).

أنا - أستغفر الله.

هو - ألا تعترف؟

أنا - لا أعرف شيئاً.

هو - سوف أقتلك.

أنا - أفعل.

هو - ألا تخشى الموت؟

أنا - سأموت شهيداً.

هو - عليك اعترافات كثيرة.

أنا - إنَّ من الناس مَنْ لا يخشى الله.

هو - وإذا اعترفت فسوف أطلق سراحك.

أنا - لا أعرف شيئاً.

هو - ثنَّ إنَّك إذا اعترفت، وأعلمتنا بأسماء مَنْ تعمل معهم سوف أدعك

تتكلم بالتلفون مع أهلِكَ الآن وسوف يتم إخراجك غداً.

أنا - لا أعرف شيئاً أعترف به.

هو - كم لك من الأطفال؟

أنا - ثمانية.

هو - سنوفر لك ولأهلك عيشاً رغيداً.

أنا - لستُ من رواد الدنيا، ولو أردتُ لفعلت!

هو - سنقتلك والله.

أنا - سوف أموت شهيداً والله.

هو - خذوه، خذوه، خذوه.

سحبني الجلاوزة، وأنا معتقد تماماً أنهم سوف يقضون على حياتي هذه المرة. وبدأتُ أسير بالخطى الوئيدة نفسها، وهم يسحبونني ويشتمونني.

ليلة مع عظام الموتى: لم يذهبوا بي لزنزاتي العتيدة هذه المرة، وإنما ذهبوا إلى جهة أخرى. مررنا بدهليز طويل ينحرف نحو اليمين أولاً ثم نحو اليسار، فتحوا باباً حديدياً كان مغلقاً، وأنزلوني في سرداب مظلم. مسكني أحدهم بيده وأنزلني مرقاة مرقاة إلى أن استقرَّ بنا المقام في قاع السرداب، فتركني وحدي وذهب. كنتُ أشمُّ رائحةً كريهة كأنَّها رائحة الأموات. وكانت شمعة صغيرة تضيء قليلاً، وُضعت في مكان بعيد.

تبَّيَّنْتُ مكاني، فوجدتُ شخصين جالسين إلى جنبي يلبسان الكوفية والعقال. فَرَحْتُ بهما كثيراً، وقلتُ الحمد لله، انتهى التعذيب، وهذان زميلان في هذا السرداب سوف آنس بهما. سلَّمتُ عليهما فما ردَّا الجواب. أعدتُ عليهما السلام فما أجابا، تقَرَّبْتُ إليهما، وأعدتُ السلام فما أجابا. قلتُ في نفسي إنهما لاشكَّ نائمان من شدَّة الإرهاق والتعذيب، حاولتُ أن أوقظهما بيدي. فلمَّا مددتُ يدي لأحدهما أصابني شيء من الرعدة والخوف فإنَّ اللذين أمامي رأسان مقطوعان انفصلا عن بدنيهما قبل قليل لأنَّ لحم وجهيهما ما زال طرياً، ووضعوا عليهما الكوفية والعقال.

إنتابني الخوف، وخشيتُ على نفسي من الجنون، فاستغفرت الله، وتعوَّذتُ من الشيطان، وقرأتُ (آية الكرسي) مراراً وسوراً من القرآن كنتُ أحفظها، وتصاغرت نفسي الأمَّارة بالسوء، فقد كنتُ أمشي برجلي على وجه الأرض، فأصبحتُ أعيش في قبر مظلم بين الأموات. يا لها من دنيا تافهة. أهذه نهاية

الإنسان، هذا المخلوق المتجبر، هذا الظالم العتيد، حقاً أن القبر برزخ الآخرة وطريقها. ولن تنفع الإنسان قصوره وأمواله وقوّته وكبرياؤه، ولن ينفعه سوى العمل الصالح الذي يقربّه إلى الله زلفى.

ثم سكنت نفسي، وهذا روحي، وتلمست مكاني لأنام فوجدت أجزاء من الأيدي والأرجل المقطوعة، وعظاماً وجماجم، ويا هول ما رأيت. كم هو حلم الله على هؤلاء المجرمين الذين يتشدقون بالحرية وتتغنى بمديحهم إذاعة مونت كارلو، وإذاعات الكبار، وصحف المأجورين، ما أقسى قلوب هؤلاء المجرمين. ليت أحرار العالم يعلمون بما يجري في العراق؟ إنهم يقطعون البشر في السرايب، ويحرقون الأبدان بالمواد الكيماوية، ويتظاهرون أمام الناس والعالم بأنهم ينشدون الحرية. يوزعون الأموال الضخمة على الصحف ووكالات الأنباء العالمية ليكيلوا لهم المديح، وينثروا أمامهم الورود، وليتغاضوا عن جرائمهم.

وانطفأت الشمعة. بقيت وحيداً في قبر مظلم بين الجماجم وعظام الموتى ولم أشك أبداً أنني سوف أقطع مثل هؤلاء. توجهت إلى الله تعالى، ورجوت لقاءه في عافية من ديني، وتذكرت أطفالي فدعوت لهم، وهاجنتي ذكراهم فذرفت الدموع الساخنة، وأسندت ظهري للجدار وأسلمت نفسي للنوم. لم أعلم كم نمت، ثم أحسست بالباب الحديدي يُفتح، وأنّ أحداً ينزل إليّ، فأيقنت بالموت، وقد فرحت بذلك كثيراً، وتمنيت لقاء الله سريعاً.

وصل إليّ شخص عرفت فيما بعد أنّ اسمه قيس، أشعل عود ثقاب، وأضاء شمعة كانت بيده. قال لي: ها كوّاد خوش مكان؟ (معناه أيّها القوّاد، هل أعجبك المكان؟!). فما أجبتُه بشيء. قال: قم فإنّك الآن تموت. ثم سألني: هل تحب أن أقطع يدك أولاً أم رجلك اليمنى أم اليسرى؟ قلت: أقطع رأسي، ثم إفعل ما شئت. فأخرج من جيبه سكيناً وحركها بيده، وقال: أنت الآن بين يدي قصّاب ماهر. انظر جيّداً إلى هذه السكين، إنّها حادة سوف لا أدعك تتأذى، إنّها سريعة القطع. دعني أقطع يدك اليمنى أولاً، ثم قال: لا، لا سوف أقطع اليسرى أولاً. أتريد أن أقطع ذكرك، أم إحدى أذنك؟ سوف تأكل من لحمك اليوم أربعة كلاب تحرس القصر. إنّ لحمك شهّي تحبّه كلابنا. إنّها تأكل اللحوم دون طبخ!!

قلتُ: أشهد ألا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله. قال: ألا تخاف من الموت، ومن هذه السكين؟ قلتُ: ساعة عذاب ثم الجنة إن شاء الله. قال: عندي صلاحية أدعك تعيش، ولا أقتلك إن أنت اعترفت عن نشاطك، ونشاط جماعتك، وأخبرت السلطة لترجع مواطناً صالحاً، وتعود إلى أهلِكَ وأطفالك، وتعيش في أمان.

قلتُ: لا أعرف شيئاً! قال: تعالَ معي.

أخذني معه، وصعد بي إلى أعلى، فوجدتُ النور وقد بهر بصري قليلاً، وكأنني خرجتُ من القبر. فتلاقفني أربعة جلاوزة، كان أحدهم ماجد الشكره، وقيس، وسعد بن العاهرة وحيدة خليل، وعامر، تلاقف الكرة بين أيديهم وأرجلهم وبالسياط إلى أن سقطتُ مغمياً عليّ، لا أعي أيّ شيء. لا أعرف بالضبط متى أُعيدَ إليّ شعوري. فقد كانوا قد تلاقفوني حال خروجي من القبر، ولم تكن عندي ساعة لأعرف الوقت. عادَ إليّ شعوري، وأنا في النهار، وقد نَفَزَ الدم من رأسي، وتورّمتُ قدمي، ثم تحسستُ وجهي ويدي ورجلي فوجدتُ فيها أثراً للِسَجائر التي أُطفئتُ على بدني وأحدثتُ بقعاً محترقة متورمة. فأصبحتُ أعضائي كلها تشكو الألم والورم وقد تجمّدَ الدم على وجهي ورأسي ولا أستطيع الحراك. بقيتُ ملقى على الأرض إلى أن جنَّ الليل.

العودة إلى الزنانة الأولى: نقلوني إلى زنانة التعذيب الأولى، وكان أحبّ شيءٍ إليّ في تلك الليلة أن أنام. وكالعادة وضعتُ حذائي تحت رأسي ورحتُ أعظُّ في نوم عميق.

عند طلوع الشمس جاءني ثلاثة جلاوزة كان أحدهم طويلاً جداً يسمى أحمد، والآخران عباس، وهو حقير للغاية، وأبو حسن. بدأ أحمد يسألني عن اسمي وعمري وسكنائي وعائلي وعدد أفرادها، ودخلي، وأملاكي، ودراستي، ثم قال لي هل تريد أن توصي أحداً؟ فإننا اليوم سوف نعدمك. قلتُ: بلى، أتمنى أن أوصي ولدي رياض، أرجو أن تعطوني ورقة وقلماً. قال: لا حاجة للكتاب، أوصنا نحن، سوف نبليغ ولدك بها.

فَكَّرْتُ ملياً مع نفسي وقلتُ ماذا عساني أن أوصي، وهل أن هؤلاء المجرمين سيوصلون وصيتي حقاً؟ ثم أليس من المحتمل أن تكون هذه الوصية سبباً لإيذاء عائلتي؟ قلت له: أرجو أن يستمر رياض في دراسته، وأن يرمى أشقاءه في دراستهم وتربيتهم، وأن يحترم أمّه، ويلتزم دينه.

ثم أخذوني معهم، وكان عباس يدفعني أمامه دفعاً وأنا أتعثر في مشيتي، ثم خرجوا بي ناحية القصر، وفتحوا باباً حديدياً فدخلنا غرفة جرداء واسعة يُخزَّن فيها بعض آلات حراث الحديقة. ثم فتحوا باباً آخر من الغرفة نفسها، ودخلنا غرفة أخرى صغيرة، أجلسوني على صخرة هناك وحلقوا رأسي بالموس، ولم يعتنوا بالحلاقة. فقد سال الدم من عدة جوانب، وهم يتضحكون، ويقولون لي: سوف نقتلك الآن؟ وبهذه الصورة سوف تلقى الله، وتدخل الجنة، ولكن لن تقبلك واحدة من الحور العين لأنك أصبحت أقرعاً!!

أمّا الجلوّاز أبو حسن فكان أعقلهم نسبياً. قال لي: لماذا تعرّض نفسك للإعدام وتخلّف وراءك ثمانية أطفال؟ ألسنت تحبهم؟ ألسنت تريد أن تراهم؟ ألسنت تريد أن تعيش معهم؟ إن بينك وبين الموت وقتاً قليلاً. هذه مسدساتنا الثلاثة سوف تقضي عليك فوراً. لو كنت قد اعترفت لنجوت، ولو ظهرت على شاشة التلفزيون وقلت إن الدعوة تأخذ أموالاً من جهة أجنبية لعشت عيشة مرفهة أنت وعائلتك. فكّر قليلاً فسوف ترى أننا لك من الناصحين.

كنت في تلك اللحظة أتشوّق للموت فأنا في وادٍ، وهم في وادٍ، فهم يريدون لي الحياة اللئيمة، وأنا أريد الموت الشريف. قلت لهم: إنكم تريدون مني شيئاً مستحيلاً.

قالوا: إذن تهياً للموت. قلت: أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

خرج عباس، وكان لثيماً جداً، وعاد بطربوش أسود وضعه على رأسي، وكان يتدلّى من الطربوش ذوابتان متدلّيتان ربطهما من تحت فكيّ، ثم قيّدوا يديّ إلى الوراء وذهبوا. وقالوا إنهم سوف يأتون بعد قليل ليُنْفَذوا حكم الإعدام، وأغلقوا الباب. كان الطربوش مملوءاً بالخنافس وهم حلقوا رأسي بالموس ليكون

إيذاؤها شديداً، فكانت هذه الخنافس تسبّب لي إزعاجاً منقطع النظير. فقد ربطوا يدي إلى الوراء لئلا أستطيع أن أخلع الطربوش وهم قد أوثقوه حول رأسي، وكلّما أردت أن أزحزحه قليلاً بضربه بالحائط كان إيذاء الخنافس أكثر.

بقيت هكذا إلى ما بعد الظهر، ثم سمعت ضحكاتهم تتعالى فقد رجعوا وبدأوا بشتمي وخلعوا عني الطربوش وحلّوا وثاقي، وأخذوني معهم إلى غرفة المجرم أبي فيصل (حسن المطير). وهناك بدون أن يوجّهوا لي أيّ سؤال طرحوني أرضاً، وبدأوا يهفسونني بأرجلهم، ويدوسون بأحذيتهم على بطني، حتى فقدت شعوري، ولم أفق إلا وأنا في زنزانتني وقد أسدل الليل ستره، فتحسست جميع أعضائي فوجدتها قد أصابها الوهن والألم، والجروح، والدماء، ووجدت بالقرب مني إناءاً شديداً الوساخة، فيه ماء، فشربت منه قليلاً. وأردت أن أصليّ فما أستطعت القيام، فتوضأت من ذلك الماء وصليت وأنا مستلقٍ، ثم عاودت النوم.

أفقت على صياح وصخب خارج زنزانتني كأنهم يسحبون ضيفاً جديداً. ففتحوا الباب وتوجّه إليّ أحدهم، وضربني بسوط جديد كان معه، وقال لي: قُمْ (هسه وكت نوم؟)، بمعنى هل أن الوقت الآن هو وقت نوم؟ فقممتُ مرعوباً، وصاح بي أخرج، فأردت أن أخذ حذائي فما أضعفني الوقت لأنّ الضربات أخذت تتوالى عليّ، وأمرني أن أُسرّع بالخروج. خرجتُ فاستلمني أحدُ الجلاوزة خارج الزنزانة كانوا يسمونه (مصعب)، لكن اسمه الحقيقي عبد الأمير (من أهالي الكاظمية)، وأمرني أن أدخل في قبو صغير تحت أحد السلالم، فدخلتُ هناك، وهو مكان صغير لا يسع لإنسان أبداً، وإنّما هو مكان للقطط. جلستُ القرفصاء، وقدماي خارج الموضع، فما أحسستُ إلا والسوط على أطراف أصابعي، فحاولتُ أن أسحبهما فما أستطعت.

بقيتُ هنا قرابة الساعة. نقلوني بعدها إلى زنزانة صغيرة جداً، مظلمة ظلاماً دامساً، وأغلقوا عليّ الباب، وذهبوا. كنتُ أتحمسُ الزنزانة، ووجدتُ أن طولها بحدود المتر والنصف بعرض ٧٥ سنتيمتراً، بارتفاع متر ونصف أيضاً. بدخولي هذه الزنزانة إنقطع عني التعذيب المبرمج، وبقيتُ أتعرضُ كباقِي المعتقلين

للتعذيب اليومي، لكن ليس لأخذ الاعتراف. كانوا في هذه الزنزانة لا يسمحون لي بالخروج للمرافق إلا مرة واحدة فقط كل ٢٤ ساعة. وصادف أنهم في إحدى المرات لم يفتحوا الباب أكثر من ثلاثين ساعة، فأحسستُ بحاجة عظيمة للتبول، اضطررت لأن أتبول في الزنزانة نفسها وحاولتُ أن أرشّ بها جميع الجهات لئلا تفضحني، لكنني مع ذلك انفضحت فقد خرج البول من تحت الباب إلى الخارج فكان نتيجة ذلك أن عُوقبتُ عقاباً شديداً من قبل (مصعب).

كانت إلى جوار زنزاتي، زنزانة مثلها، أُعتقل فيها شخص كان قد هجم مع مجموعة على مخفر للشرطة، وقتلوا شرطياً فيه. أخبرني هذا المعتقل أن في زنزاتي نفسها هذه كان عبد الأمير إدريس (من حزب الدعوة)، وإنه الآن نقل إلى مكان آخر، ولم أكن حينذاك على صلة بعبد الأمير إدريس إلا أنني كنت أعلم أنه مهندس يعمل بمدينة العمارة في صفوف حزب الدعوة. كُنّا أنا وهذا المعتقل نتحدث عندما نطمئن إلى عدم وجود رقيب وإن كنتُ لم أره أبداً، فكلانا كان وراء القضبان بل وراء الأبواب الحديدية. وحيث إن هذا الشخص كان قد قام بعملية قتل، أو شارك فيها فقد حوكم في إحدى المحاكم المدنية، وحكم عليه بالحبس سبع سنوات، ونقل إلى سجون (أبي غريب)، فكنْتُ أسمعُ المعتقلين يتناقلون خبره وأنه تخلص من قصر النهاية، ومن عذاب قصر النهاية. حقاً إن الذي يُحكم عليه بالسجن، ويُنقل إلى أحد السجون فهو وإن كان في سجون البعث الرهيبة، إلا أنها أفضل من فترة الاعتقال. وسبع سنين في السجن أفضل من الفترة الحالكة التي يقضيها في قصر النهاية، وإن كانت مدتها أقل بكثير من مدة السجن.

بقيتُ في هذه الزنزانة ستة أيام، وفي منتصف الليلة الثانية منها أحسستُ ببرد حيث لم يعطوني من يوم اعتقالني غطاء أو فراشاً أبداً. كنتُ أنام على الأرض وألتحف السقف. لقد شعرتُ بالبرد كثيراً، بل أخذتُ القشعريرة تهزني هزاً. فأخذتُ أطرقُ الباب الحديد من الخلف لعلهم يسمعونني فيسعفوني بغطاء. فطرقْتُ الباب ولكن دون مجيب. ثم خشيتُ أن أكون قد أزعجتهم فينتقمون مني، فتركتُ الطرق وجلسْتُ، ولم أتحملُ البرد، فعاودتُ الطرق من جديد وهكذا لعدة مرات، وبدون نتيجة. وفي صباح اليوم الثاني عندما قدّموا لي الطعام طلبتُ إليهم

أن يعطوني غطاءً. فأعطوني (سترة) وقالوا لي خذها واستعملها غطاءً. ففتحتها فوجدتها سترة كبيرة تصلح أن تكون غطاءً لمعتقل مثلي. ووجدتها سترة جديدة، حسبها أن تكون لشخص قد اعتقلوه وقتلوه وهي بالتالي لا يجوز أن استعمالها ما لم يأذن الورثة. فطويتها وأرجعتها إليهم في فترة الغذاء وطلبت منهم شيئاً آخر. فأعطوني (كونية)^(١). وعندما جنَّ الليل وبدأت أشعر بالبرد وضعت الكونية عليّ من رجلي فما فوق، فكانت تصل إلى فخذي، فوضعتها على رأسي فوصلت إلى فخذي. فجلست القرفصاء في زاوية الزنزانة وأسدلت الكونية عليّ، فكان وضعاً لا يساعد على النوم أبداً. فحاولت أن أدخل في الكونية، فدخلتها فوصلت إلى فخذي. بقيت على هذه الحال عدة ليال ولم يعطوني أي شيء آخر يصلح كغطاء. وفي اليوم السادس أعطوني كونية أخرى، فكنت مسروراً بها سروراً عظيماً وانتظرت الليل بفارغ الصبر لأنام هذه الليلة نوماً مريحاً.

لكنهم في عصر هذا اليوم أخرجوني، وأخرجوا عدة أشخاص آخرين من الزنانات، ومن أماكن ضيقة تصلح أن تكون أقفاصاً للدجاج، وأوقفونا الواحد تلو الواحد. قلت في نفسي أيّ والله قرب الفرج، سوف أخرج إن شاء الله. أوقفونا ثم جاء أحد المسؤولين، وبدأ يكتب أسماءنا وعناويننا، والتهم التي من أجلها تم اعتقالنا، ثم صير كل واحد منا إلى زنزانة. فكانت الزنزانة رقم (٢٦) من نصيبي.

الزنزانة رقم ٢٦: دخلت الزنزانة (٢٦) فوجدت فيها شاباً نحيفاً، فرحت به، وفرح بي كثيراً فكأنني نزلت عليه من السماء، كان قد مضى عليه في الاعتقال ستة عشر شهراً، وهو يسكن هذه الزنزانة لوحده. عرّفتني نفسه بأنه ضابط في معسكر المنصور، ومن أهالي الناصرية، اعتقل لوشاية لحقته وانقطع عن أهله طيلة هذه المدة لا يعرف عنهم شيئاً. نقل لي قصته كيف أُعتقل، وكيف أهين؟ أنست بهذا الرجل كثيراً، فقد كان طيب القلب وبالإضافة إلى ذلك فهو يحفظ من الشعر الشيء الكثير وكان ذا حافظه جيدة جداً كما أنه أنس بي كثيراً.

كان المسؤولون يقولون إن تصميم الزنانات تم على (أحدث طراز) ولكن

(١) الكونية: كيس من الجوت يوضع فيه القمح غالباً.

أحد المعتقلين الشيوعيين إلتحق معنا في زنرانتنا كان عندما يريد أن يعبر عن أحدث طراز يقول إنها أطرز (حدث).

الزنزانة التي كُنّا فيها مربعة، طول ضلعها متر و٧٥ سم، وارتفاعها كذلك. ذات باب حديدي يفتح إلى الداخل، ويغلق من الخارج. فيها تأسيس كهربائي لمصباح في أعلى السقف، لكن ليس فيه قوة الكهرباء خوفاً من أن يقدم أحد على الانتحار. وليس في الغرفة شبّاك، بل توجد فتحة صغيرة فوق الباب للتنفس، ولإلقاء الخبز على المحتجزين. الزنزانة مصمّمة لشخص واحد، ولكن قد يوضع فيها الاثنان، والثلاثة، والعشرة. كان الجانب الذي نحن فيه يتألف من عشرة قواطع (أ، ب، ج) وهكذا، وكل قاطع يتكون من ٤٢ زنزانة. واحد وعشرون زنزانة متقابلة مع زنزانات بهذا العدد أيضاً. والزنزانات مرقمة كلها. كانت زنرانتنا تحمل رقم (٢٦).

وهذه القواطع العشرة يوجد في واجهتها الشمالية ستة مراحيض فقط لمجموع المعتقلين فيها، أي لمجموعة تتألف من ٤٢٠ زنزانة. وإذا كان معدل من يسكن الزنزانة الواحدة أربعة معتقلين كان لـ ١٩٨٠ معتقلاً ستة مراحيض فقط ولذلك فقد كانوا لا يسمحون لنا بالخروج للمرافق إلاّ مرّة واحدة في كل ٢٤ ساعة ويكون ذلك في الساعة العاشرة صباحاً. وقبل أن نخرج، ونحن وراء الأبواب المغلقة، يأتي أحد المسؤولين ويخطب فينا بصوت عال (يا كواويد يا...). سوف نخرجكم للمرافق، وكلّ من يتأخر فيها أكثر من دقيقة واحدة أفعل به (كذا وكذا). ثم يفتحون الأبواب، كل زنزانتين أو ثلاث زنزانات مرة واحدة. فنخرج على أن لا يتكلم معتقل مع معتقل آخر أبداً، بل ولا ينظر إليه، ولا يلتفت يميناً أو شمالاً. ثم ندخل رأساً، أو نقف قليلاً ليفسح لنا المجال بالدخول فندخل. وفي خلال دقيقة واحدة علينا أن ننجز عملية التبول والتغوط والتطهير وما إلى ذلك، ولا يحق لنا الخروج من المرحاض إلاّ بتعاليم خاصة. يجب أن يعطي المعتقل رقم زنزانتة، فيقول مثلاً (٤٠) خلص أو (١٥) خلص، وهكذا. فيؤذن له بالخروج، أو يقال له انتظر، ثم يؤذن له، لكيلا يرى معتقلاً ما لا يريدون أن يعرفه أحد أو لا يراه أحد لهذا السبب أو لأي سبب كان.

وفي رأس القاطع غالباً ما يجلس أحد المسؤولين على كرسي ويده سوط حديد، كان علينا عندما نذهب للمراحيض أن نطأطئ رؤوسنا إلى حدٍّ أن يلتقي الرأس بالأرض، فيضربنا هذا بحذائه، وعندما نخرج لابدَّ وأن يضربنا بسوط الحديد بحجة أننا تأخرنا أكثر من دقيقة واحدة. كان أكثر من يستعمل هذه الطريقة معنا شخصان لئيمان، أحدهما محمد، (ويقال أن أباه معمم في كربلاء ومن عملاء الحكومة)، والآخر عباس. (أمّا الأول فقد أُعدم مع مجموعة كزار وأمّا الثاني فلا يزال موجوداً). وكان يراقبنا بالإضافة إلى هؤلاء المجرمين، بعض المعتقلين الذين يتعاونون معهم في رصد حركاتنا واستراق أحاديثنا فيتملقون إليهم في إيذائنا وتعذيبنا. كان من جملة هؤلاء سعد (نائب ضابط)، وفتحي (بعثي من أهالي الناصرية)، ومسلم (وهو بعثي أيضاً)، وهو أشدهم لؤماً. كانت بيده عصا غليظة وطويلة هي عصا المكينة التي يستعملها الكناسون في الشوارع، يضربنا بها متى شاء إرضاءً وتزلفاً للمجرمين الذين نصبوه رقيباً علينا.

عندما كنا نذهب للمراحيض يقف هذا على أبوابها ويأمرنا بالاستعجال وكم حدث أن دفع عليّ الباب وأنا في حالة مزرية. وحدث مرّة وأنا في المراحيض أن دفع عليّ الباب، وكان يقف معتقل آخر ينتظر دوره ويده إناء كبير فيه البول المتجمع منه ومن زملائه في الزنزانة. أمره مسلم أن يسكبه على رأسي بحجة أنني تأخرت في المراحيض. ولكن الواقع هو أنه كان يحقد عليّ كثيراً. بل يحقد على جميع المتدينين ولا يجد فرصة إلا وينتقم منهم، خصوصاً إذا كان إمام أسياده المجرمين. كنتُ أحياناً أحتاج إلى أن أغتسل فأجد في ذلك صعوبة بالغة جداً، فالوقت الذي يجب أن نقضيه في المراحيض دقيقة واحدة فقط. والمراحيض دائماً مملوءة قذارة ونجاسة ولا يوجد فيها إبريق ولا صوندة للماء، والجو بارد جداً وهي مكشوفة من الأعلى، والباب لا يغلق بصورة محكمة، ومسلم هذا الحاقد اللئيم واقف على رؤوسنا يحصي علينا ثواني التبول. ومع ذلك فقد كنتُ أغتسل بعدما أهني نفسي للضرب والإيذاء وأحمد الله أنني لم أصب بمرض أبداً بإغتسالي بهذا الماء البارد في بحبوبة الشتاء.

كنا نتندر أيام العيد، وقد مرَّ عليّ عيدان وأنا معتقل، عيد الفطر وعيد

الأضحى . كنا نتندر فيسأل أحدها الآخر عن نوعية الهدية التي سوف يقدمونها لنا . كنتُ أقول لهم : إنَّ أفضل هدية تُقدَّم لنا بالعيد هي أنْ يسمحوا لنا بالتبول مرتين . كنتُ أسمع وأنا خلف الباب الحديد أنَّ كثيراً من المعتقلين يحتاجون أن يذهبوا للمرافق ، وكثيراً منهم يصاب بالإسهال ، فكانوا يصرخون ويضربون على أبوابهم لعلَّ المجرمين يعطفون عليهم فيفتحوا لهم الأبواب ويسمحوا لهم بقضاء حاجتهم . ولكن أنى للمجرمين أن يعطفوا وهم ليسوا من البشر بل ليس لهم في الحيوانات شبيهه ، كانوا يجيئونهم - إذا أجابوا - بولوا أو تغوطوا في ملايسكم وجيوبكم .

قلت إنني نزلتُ ضيفاً على شاب كان قضى سنة وأربعة أشهر فريداً في هذه الزنزانة ، وعندما دخلتُ عليه كان سروره عظيماً وسرعان ما حصل الانسجام ، فكان يطلب مني أنْ أتحدّث عن الإسلام وتاريخ الإسلام وبطولات المسلمين وعن الآخرة والحساب ، كما كانت تتخلل أحاديثنا القصص والنوادر ، وما تعرّض كل واحد منا لأشكال التعذيب . وقد كان هذا الشاب طيّب القلب حلّو الحديث وبقيتُ أحتفظ له بالصدقة والمودة بعد الاعتقال واستمرت صداقتنا إلى يومنا هذا . وكنتُ عندما وردتُ عليه لا أملك إلاّ ملابس خرّقتها التعذيب ولوثتها الدماء . فأعطاني بعض الملابس التي وقتني من البرد كما شاركته ببعض عطاءه ، فكنتُ عنده لا أشعر بالبرد الذي أصبتُ به في الليالي السابقة عندما أعطوني (الكونية) . ولا حظتُ أنْ عنده قنينة صغيرة ، حاولتُ أنْ أستفيد منها فسمح لي بها ، وسألني عن حاجتي بها؟ قلت له إنني سوف أستفيد منها عندما استيقظ للصلاة الفجر فأتبول فيها . ولكن كيف الحيلة وفوحتها ضيقة؟ وجدت ورقة سميكة طويتها ووضعتها في فم القارورة لتساعدني على قضاء حاجتي . عندما استيقظت للصلاة عند الفجر وكان الظلام دامساً ، تلمستُ القارورة ، وبدأتُ أبول فيها ، ولكن هذه الورقة التي في فمها انغلقت من الأسفل ، فما أحسستُ إلاّ والبول قد طفح على فخذي ورجلي والفراش الذي أنا فيه وأصلي عليه ، فأصابني من الغم شيء عظيم . وبقيتُ متحيراً لا أدري ماذا أصنع ، فتوجّهتُ إلى الله أشكو إليه ، وأجهشتُ بالبكاء .

وبعد ثمانية أيام من ورودي ضيفاً على هذا الشخص، طرقتنا ضيف آخر، فأصبحنا ثلاثة وبقينا كذلك إلى أن أفرج عني. كان هذا الثالث من الناصرية أيضاً إلا أنه رجل شيعي لا يفهم من الشيوعية شيئاً أبداً. كنت أناقشه فيقول لي إن فلاناً، وكان معتقلاً في زنزانة أخرى، يستطيع أن يجيب على مناقشاتك. وكان بالإضافة إلى ذلك غيباً جداً، يعتقد أن معاوية هو ابن محمد بن عبد الله، وأن موسى بن جعفر هو ابن جعفر الطيار وهكذا. أمّا إذا سألته عن معتقدات المسلمين، وأصول دينهم فكان يقف حائراً لا يدري كيف يجيب. فكنت أقول له - ألسنت شيعياً؟ ألسنت تريد أن تغيّر المجتمع الذي تعيشه؟ فكيف يمكنك ذلك وأنت لا تعرف عن معتقدات مواطنيك شيئاً؟ فلا يجد جواباً. وكان بالإضافة إلى ذلك مزعجاً جداً من ناحية أخرى، فكُنّا عندما ننام، ينام في وسطنا، وكنا نجد مشقة عظيمة في تدبير النوم لضيق المكان، فكان هذا الغبي كثير الفساء. والزنزانة على ضيقها ليس فيها إلا منفذ صغير جداً للتنفس فإذا شغل هذا ماكنته، كنت لا أستطيع أن أنام، بل كنت أشعر أن روحي قد بلغت التراقي، وتصيبي حالة من التقيؤ. وفي النهار كنت أنا وزميلي الآخر نوبّخه على هذه الفعلة، لكنه لا يرتدع عنها أبداً.

ولقد حدث لي معه موقفان؛ كان الموقف الأول في شهر رمضان، وكان أوحش الأوقات بالنسبة لي هو وقت العصر، ذلك أنني كنت أقضي الليلة بالنوم، ما لم يزعجنا هذا الغبي. وفي الصباح ما بعد الظهر بساعتين ننشغل باستلام الإفطار ثم الخروج للمرافق ثم الغذاء. حيث تكثر الحركة ويعلو الضجيج. أمّا في العصر فكان الهدوء يُخيّم علينا وأحس فيه بوحشة كبيرة. وكانت تسرح بي أفكار في هذا الوقت بالذات، وفي وحشة القبر وظلامه وانفراد الإنسان هناك وانقطاعه عن الدنيا وصخبها وضجيجها، فلا يشفع للإنسان إلا عمله وإيمانه.

في أحد الأيام وفي العصر بالذات، سمعنا الأبواب الحديدية للمقطع المجاور تنفتح الواحد بعد الآخر. والأبواب تنفتح دوماً، إمّا لورود ضيف جديد أو للإفراج عن معتقل قديم لورود اعتراف على معتقل فيأخذونه لكي يلقي حسابه،

أَمَّا أَنْ تُفْتَحَ الأبواب للقاطع بأكمله فهذا شيء يدعو للاستغراب. وجمنا وكأنا على رؤوسنا الطير، نصيح بأذاننا لنستعلم الخبر. انتهت أبواب القاطع المجاور، ثم بدأت الأبواب تنفتح في قاطعنا ثم تنغلق باباً باباً. وأصغينا، فسمعنا أن المجرم محمد (الذي كان خفياً في ذلك اليوم)، انتهى أن يضرب المعتقلين جميعهم ويضربهم بشيء لا نسمع له صوتاً، ولكننا نسمع صراخ المعذنين، والذي اعتقده أنه كان يوخز صدور المعتقلين بسكين حاد أو ما يشابه ذلك.

إنزونا في زنانتنا خائفين نترقب مجيء هذا الوحش وتوجهت رأساً نحو الإمام موسى بن جعفر (ع)، وبدأت أتوسل وأدعو الله بالنجاة. فكان هذا الشيوعي يقول لي: سوف ترى كيف أن موسى بن جعفر لا يفيدك، وسوف تأكل نصيبك من العذاب لا محالة. بدأت الأبواب القريبة تنفتح، وبدأ خوفنا يزداد، فتحت الزنانة رقم (٢٥)، وكان فيها منفرداً الضابط الطيار حامد جواد، فصاح بصوت عال (لجّ يوم)، أي يا أمّاه. ثم أغمي عليه. وانتظرنا دورنا، لكنّه تجاوزنا، وفتحت الباب رقم ٢٧ ونجّانا الله من هذا المجرم الحقيّر.

أما الموقف الثاني الذي أتذكره، فهو أننا كنّا يوماً نتغدى ثلاثتنا فانهيت أكلنا قبلهما - وكعادتي دائماً - قلت الحمد لله، وفي بداية الأكل أقرأ البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم). وعندما حمدت الله، قال لي: وعلى أي شيء تحمد الله؟ إنك الآن معتقل، ولا تعرف كيف ينتهي مصيرك، وفي كل ليلة يقتلون من المعتقلين بالعشرات، أمّا طعامك هذا الذي تحمد الله عليه فلا يأكله حتى الحمار. قلت له وبكل بروود: إنني الآن أشعر بفخر عظيم، فقد أصبح الإسلام قوة يخافها الاستعمار وأذئاب الاستعمار، وهذه نعمة عظيمة يُشكرُ الله عليها، ولو لم يخشون مني ومن أشخاص يحملون نفس أفكارنا لما حشرونا بالسجن، ثم إنني في صحة جيدة. وإنك كذلك أيضاً. فبكك سالمة ورجلك سالمة، وعقلك كما كان من قبل لم يغيره الاعتقال. أما رأيت (فلاناً)^(١) يزحف على ركبتيه عندما يذهب للمرحاض؟ ألا تعلم أن كثيراً من المعتقلين الآن يعذبون أشد أنواع

(١) كان هذا مديراً للشرطة في البصرة فاعتقله المجرمون وأودعوه في قصر النهاية، ثم قطعوا رجليه وقالوا له: عندما تخرج يمكنك أن تصنع لك رجلين من البلاستيك.

التعذيب؟ إنك الآن أفضل من غيرك بكثير، ومتى ما خرجت فسوف تذهب إلى أهلِكَ وأنت سليم الأعضاء.

ونحن في هذه المحاورة وإذا بهم ينادون عليه باسمه بصوت عال (كريم خميس كريم) فأجابهم - نعم في زنزانه (٢٦). ففتحوا عليه الباب وأخذوه. وهم يأخذون الأشخاص دوماً، أمّا لأنّهم يريدون أن يفرجوا عنهم أو لورود اعتراف عليهم كانوا قد أنكروه أو لزيادة في التحقيق. والمعتقل في جميع الأحوال لا بد وأن يرجع إلى زنزانه بعد عدة ساعات ليستقر فيها، أو ليأخذ ملابسه ويخرج (إنّ كُتبت له النجاة). ولكن صاحبنا هذا لم يعد في تلك الليلة. ومَرّت عدّة ليال ولم يعد. فبقيت وزميلي الآخر نفكر في أمره ومصيره. وبعد ثمانية أيام أفرج عني، وهو لمّا يعد إلى الزنزانه. وبعد عدة أشهر أفرج عن زميلي الضابط فسألته عن كريم فقال: إنه كان يعذب إثني عشر يوماً.

الطعام في المعتقل: الغذاء الذي كان يقدم لنا، كان على هذه الشاكلة: في الساعة السابعة صباحاً يقدمون لنا الإفطار، وهو عبارة عن شوربة ماش وصمونة وشاي ينقلونه إلينا في قدر كبير نستلمه بكاسات المرق. وفي الثانية عشر يقدمون لنا الغداء، وهو غالباً رز نصف مطبوخ ومرق هو في حقيقته ماء حار، فيه قليل من معجون الطمطة والملح، ويقولون لنا إنه مرق فاصوليا أو باذنجان أو غيره. وكثيراً ما كنت أتردد في أكل هذا الرز، لكنني أضطر أخيراً لتقبّله لأنني لا أجد غيره.

أمّا المرق فكنتُ أعبر عنها بالتي لا يعرف أصلها من فصلها، فلا يُدرى ما هو أصلها؟ أحقيقة أنها مرققة باذنجان، أم شيء آخر؟ إننا لا نجد غير الماء الأصفر. وأمّا العشاء فهو هذه المرققة، لكنها باردة مع صمونة واحدة. وتكرر الأيام والليالي، وتكرر نفس هذه القائمة من الطعام.

بكاء مُعتقل: في الزنزانه رقم ١٨ من قاطعنا في قصر النهاية، كنتُ أسمع أحد المعتقلين لا يكاد ينقطع عن البكاء. كنتُ أغلب الأيام أستيقظ على بكائه وعويله، وهو كان يبكي طول النهار أيضاً. إذا حاول المعتقلون أن يأخذوا قسطاً من الراحة (النسبية) في الليل، فإنّ هذا المعتقل البائس هو الوحيد الذي يبقى

صوته مدوياً بالبكاء بينهم. وكثيراً ما كان يحدث أن يجيء إليه الجلاوزة، وقد أزعجهم بكائه، فيضربونه ضرباً مبرحاً، ولكن هيهات أن ينقطع عن البكاء.

حدثني صاحبي في الزنزانة، (كان قد عاش وإيَّاه في زنزانة واحدة لعدة شهور) عن مأساة هذا الرجل، قائلاً: كان هذا الرجل في بيته أثناء النهار، وكانت زوجته قد ذهبت إلى أهلها لتعود ليلاً، وليس في الدار إلا هو وطفلة له صغيرة لا يزيد عمرها على السنة الواحدة، لا تزال تزحف على الأرض. وكان قد أوقد (البريمز) - (وهو موقد نفطي شديد الاشتعال)، وعليه (قذر) الأكل، فطرق الباب في هذه الأثناء، وعندما ذهب إلى الباب ليستعلم عن الطارق، كان هناك خمسة من الجلاوزة ينتظرونه، فما كان منهم إلا أن تلقفوه وأودعوه داخل السيارة، وجاءوا به إلى قصر (النهاية) رأساً. كان هذا البائس عندما جيء به يصيح: «أرجعوني إلى البيت ولو لدقيقة واحدة لأطفيء (البريمز) ثم افعلوا بي ما شئتم، أضربوني، عذبوني، قطعوني، وإذا شئتم فاقتلوني!» ولكن أنى للمجرمين أن تتحرك فيهم ضمائرهم وإنسانيتهم فكانوا يضربونه ويشتمونه، وهو لا يزال منذ عدة أشهر لا ينقطع عن البكاء، فقد أصبح كالمجنون.

طبيب قصر النهاية: ما وجدت طيلة بقائي في قصر (النهاية) طبيباً أو معاوناً لطبيب يتفحص المرضى المعتقلين على الرغم أنهم كثيراً ما يصابون بالأمراض نتيجة لسوء التغذية، وسوء التهوية وللتعذيب الجسدي والنفسي، إلا مرة واحدة، فقد سمعتُ الجلاوزة يصيحون علينا بصوت عال: (المريض يطلع إيدِه)، أي فليُخرج كلُّ مريض يده من الفتحة التي على الباب. فأخرجت يدي، وقد كنتُ أشكو آلام الروماتيزم في رجلي وظهري جرّاء الرطوبة، وعدم الحركة.

وأخرج غيري يده أيضاً، فكان أحد المضمدين يحمل معه علبة فيها حبوب للإسهال والصداع والحمى، وغير ذلك. فيهزون يد كلِّ واحد منّا ونحن الذين مددنا أيدينا - ما تشكو؟ وبدون أن يفتحوا الباب أو يكشفوا على المريض أو حتى يجسّوا نبضه، فيقول لهم صاحب اليد الممدودة: إسهال، أو حمى، أو جراح، أو غير ذلك، فيعطونه الحبوب من وراء الباب الحديدي، ثم يقولون له: ثلاثة باليوم، وهكذا. فسألوا شخصاً في غرفة مجاورة: ما بك؟ قال: روماتيزم. فقالوا

له: وأين الروماتيزم، في (جحر ك)؟ فخجل الرجل وسحب يده، وسحبت يدي أيضاً، واحترمت نفسي.

السل في المعتقل: حدث مرة أن أُصيب أحد المعتقلين بالسلّ الرئوي، كان من أهل الصويرة، اسمه (حمادي) معتقل هو وأخوه واثنان آخران في زنزانة واحدة. بعدما قضى سنة وأربعة أشهر في قصر النهاية. أُصيب بالسلّ، فكان في زنزانتة يقرأ الأشعار الحزينة، يندب فيها حاله، وحال أولاده وأمّه، ثم يبكي، ويُبكي معه مَنْ يسمعه من المعتقلين. فأخرجوه لأنهم خافوا أن تنتقل إليهم العدوى بطريقة ما، بعدما ضربوه وقالوا له: أَلستَ أنتَ الذي مرّضتَ نفسك؟!

العقيد حسين الشيرواني: كثير من المعتقلين في قصر النهاية يشكون أمراض الضغط، والسكر، وحالات مرضية أخرى تستدعي المريض أن يأكل أكلاً خاصاً، ولكن هذه العناية بالأكل إنّما تكون على وجه الأرض. أمّا الذين يُعتقلون في قبور «قصر النهاية» وزناناته فلا يُطبّق هذا بحقهم.

كان أمام زنزانتنا، وبالضبط بالزنزانة رقم ١٧، العقيد الكردي حسين الشيرواني مدير شرطة أربيل، كان مصاباً بمرض السكر. وكان رجلاً خلوفاً ومؤدباً جداً، فكنْتُ أسمعه أحياناً يتكلّم مع أحد الجلاوزة من وراء الباب بصوت هادئ جداً، يقول لهم: إنني مريض ولو سمحتم لي أن أخبر أهلي ليعثوا لي أكلاً خاصاً وفراشاً كافياً؟ فيجيبونه: مُت، مُت، إنَّ أهلك يرسلون لك الملابس والأكل والغطاء فنرجعه، ونقول لهم إنَّ معتقلاً بهذا الاسم لا يوجد عندنا. وعندما أشتدّ به المرض بحيث لم يكن يرجي شفاؤه أخرجوه من قصر النهاية، ومات بعد شهر واحد من إطلاق سراحه. وكثير من أهالي أربيل يعرفون ذلك.

عندما أرسل أهلي الملابس والأطعمة: عندما دخلتُ قصر النهاية وجدتُ أن بعض المعتقلين تصلهم الهدايا من أهلهم، غذاء وملابس وغطاء وما إلى ذلك. فكنْتُ أتمنّى لو يعلم أهلي بوجودي ليرتاحوا أولاً، وليرسلوا لي الملابس والغذاء. فكنْتُ أدعو الله دائماً أن يُيسّر لي ذلك. كنْتُ أقول لصاحبي لو علم أهلي بمكاني وأرسلوا لي الغذاء فإنني سوف أشبعهما تماماً.

وبعد مرور ثلاثة وثلاثين يوماً على اعتقاله، ورد على قصر النهاية معتقلون جُدد كانوا بحيث لا يتوفر لهم الغطاء فجاءنا المسؤولون، وصاحوا: مَنْ يُريدُ أَنْ يتكلم مع أهله بالهاتفون ليرسلوا له الغطاء؟ مَنْ أراد ذلك فليُخرج يده، (من فتحة الباب). فأخرجتُ يدي مسرعاً. فتحوا لنا الأبواب، وقفنا صفّاً طويلاً ننتظر دورنا.

لم يسمحوا لنا أَنْ ندير قرص الهاتفون أكثر من مرّة واحدة فإذا طلب أحدنا رقماً وكان مشغولاً، فإنَّ حقّه يسقط، ولا يجوز له أَنْ يعيد الطلب، أو يطلب رقماً غيره. أمّا الذين أرادوا أَنْ يتّصلوا بدوائرهم، فقد منعوهم لأنّهم اشترطوا أَنْ لا يكون الهاتفون المطلوب (بدالة تلفون) لأنّه يتنافى والسريّة أولاً، ولأنّه يؤخر المكالمة. أفهمونا أنّ المكالمة يجب أَنْ لا تتجاوز الدقيقة الواحدة وأن نخبر أهلينا بأن يرسلوا لنا الملابس والأغطية والغذاء مرتين في كلّ أسبوع. يرسلون ذلك إلى وزارة الدفاع ثم يصل إلينا بعد كتابة الاسم عليه.

كنتُ واقفاً في الصفّ، وأدعو الله أَنْ يُيسّر لي المكالمة بكل سهولة ليعرف أهلي أنني لا أزال موجوداً في الحياة. أدركتُ القرص، فكان ولدي الشهيد رياض على الهاتفون، سمع صوتي فبكى، وبكىّ معه بكاءً شديداً. طلبتُ منه أَنْ يرسل لي بعض الملابس والأغطية والغذاء مرّتين في الأسبوع، (الأحد والأربعاء). ورجعتُ إلى زنزانتى، وأنا فرح كثيراً، لكنني أجهشتُ بالبكاء من جديد. ومن حسن الصدف أَنْ يكون اليوم الذي سمحوا لنا فيه بالمخاطبة هو يوم الأحد، فقد أُجيب طلبى في اليوم نفسه. ملابس وأغطية وغذاء جيد، أشركتُ في ذلك زميلي في الزنزانة.

كان أهلي يُرسلون لي ما لذّ وطاب من المأكّل. استمرت الحال هكذا شهراً، ثم منع الجلاوزة ذلك، وكانوا يرجعون ما يرُدّ إلينا. كان يصلنا الأكل داخل علب الكارتون، وكانوا يسمّون ذلك (مواجهة)، فيقولون جاءت لك مواجهة، فيضعون الكارتونات في رأس القاطع، ثم يفتحونها واحدة واحدة، فيأخذون منها الحبال والخيوط التي يشدّون بها الكارتون كما يتحرّون عن وجود أي نوع من الآلات الجارحة (كالموس والسكين والإبرة والمرّة) لأنّهم يخشون

أن ينتحر المعتقلون بها، أو يخنقوا أنفسهم بالحبال. والواقع أنَّ كثيراً من المعتقلين لو كان يُتاح لهم ذلك لأقدموا على الانتحار.

كانت عندما تجيئني (المواجهة) أحسُّ بها إحساسين متناقضين؛ الأول: أنني أفرح كثيراً لأنني أشعر أنَّ هناك علاقة بيني وبين أهلي، وإن كانت علاقة غير منظورة. فأحمد الله على سلامتهم، وأسلي النفس بأنهم في صحة جيدة، وأن هذه الكتابة التي على الكارتون هي خط ولدي، أو ابنتي، فكنْتُ أرتاح كثيراً، كما أنني كنْتُ أرتاح لنوعية الأغذية الجيدة التي يرسلونها إليَّ.

الإحساس الثاني: كنْتُ أتمنى أحياناً أن لا يرسلوا لي هذه (المواجهة). فالجلاوزة للؤمهم الشديد كانوا يحقدون علينا عندما يرون أنَّ أهلينا يرسلون إلينا الغذاء الجيد. فكانوا قبل أن نستلم (المواجهة) يضربوننا ضرباً شديداً بأية آلة كانت معهم، بأخمص المسدس أو الرشاشة، أو السوط. وفي إحدى المرات لم يكن معهم شيء فضربوني بالكرسي على رأسي. فكنْتُ أتحرج كثيراً من استلام هذه (المواجهة) وقلْتُ مرّة لزميلي الضابط في الزنزانة: إنني اليوم لو جاؤوني فسوف لا أخرج. قال: لا، إنَّ عقابك سوف يزداد! كان أهلونا يرسلون (المواجهة) لوزارة الدفاع في الساعة الثامنة صباحاً، وتصلنا الساعة الثامنة مساءً.

وحلَّت الساعة الثامنة في إحدى الليالي، وفتحوا عليَّ الباب، وذهبتُ إلى رأس القاطع، فوجدتُ اثنين من الجلاوزة هما قيس، وعامر (كلاهما أعدما مع ناظم كزار). وجدتهما شاهري سلاحهما على أحد المعتقلين (إياد من مدينة الكاظمية)، وكان هذا جاءته (مواجهة) أيضاً. فكانا يقولان له: إمّا أن تسبَّ الكاظم، وإمّا أن نقتلك الآن. وإياد قد استلقى على قفاه في حالة يرثى لها، والزبد يطفح على فمه من الخوف لأنَّ الجلاوزة حقاً يفعلون ذلك لو أرادوا. فسبَّ إياد الإمام الكاظم (ع)، فخلوا عنه، وأعطوه (المواجهة) وذهب. ثم جاء دوري وكان معهم أحد المعتقلين (فتحي من مدينة الناصرية) يعاونهم في فتح الكارتونات. ففتحوا الكارتون وأخذوا الحبل وفَتَّشوا عن الآلات الجارحة الممنوعة، ثم نبشوا (المرق) بالملعقة. بعدها وجَّها عليَّ سلاحهما، وكان كلُّ منهما يحملُ مسدساً، وقالوا لي: (ولك سبب الكاظم).

وفي عرف قصر النهاية وآدابه أن لا يُعصى للمسؤولين أمر، فكلّ ما يريدون يجب أن يطبق. وكلّ ما يشتهون يجب أن ينقذ بدون أي تلكؤ أو تأخير، ومن يحاول أن يعترض عليهم ولو بأدنى اعتراض فمعنى ذلك يعرض نفسه للعقاب الشديد. الواقع أنني خلال إقامتي في قصر النهاية كنت كثير التوسل بالنبي (ص) والأئمة الأطهار، خصوصاً الإمام موسى بن جعفر باعتباره أقرب إمام للمكان الذي أنا فيه. فعندما طلبوا مني أن أسب الإمام الكاظم استغربت من ذلك كثيراً، وقررت أن أمتنع، عمّا يريدون، ولو كان في ذلك قتلي. فليس من الآداب أن أتوسل بالإمام صباحاً، وألعه ليلاً، ولو أنني معتقد أن الأئمة يعذرونني في ذلك. والإمام أمير المؤمنين يقول فيما إذا تعرّض أحد لموقف كهذا: «أمّا السب فسيوني، وأمّا البراءة فلا تتبرأوا مني»، لأنّ البراءة معناها التبرؤ من الإسلام.

قلتُ لهما: أترضيان أن ألعن الكاظم؟ قالا لي: گواد سب الكاظم. قلتُ: لا أفعل (وكأنني طعنتهما بسكين). قالا: سوف نرميك بالمسدسين الآن. قلتُ لهما: إفعلا. فقالا لفتحي: شدّ يديه إلى الورا بهذا الحبل. ففعل هذا الجبان. ثم قالاه: اضرب صلعتَهُ بالحائط، ففعل. فقالا لي: سب الكاظم (وكأنهما يتصوران أنني خشيت من ضربة الحائط). قلتُ: لا أسب.

(والمكان الذي حدث فيه هذه المشادة كان بالقرب من زلزانة الشهيد أبي عصام رحمه الله، فقد كان في الزلزانة رقم ٤٢ من القاطع، وحاولت أن أتكلّم بصوت عال لسمعني، وليعلم أنني هنا).

قالا: سوف نرميك. قلتُ: إفعلا بدون تأخير فلن ألعن الكاظم أبداً. قالا: إذن إلعن أبا حنيفة. قلتُ: ولا ألعه كذلك. قال: إلعن الكاظم. قلتُ: لا ألعن. قال: إلعن أبا حنيفة. لا ألعن.

رفعا عليّ مسدسيهما، وأمرّا فتحي بالتقهقر إلى الورا لئلا يصاب بشظية. فأسلمتُ أمرى لله تعالى، وقرأتُ الشهادتين بصوت عال. وحاولتُ أن أتوجّه للقبلة. لكنّهما هنا وجدا أنّهما لم يطلبوا مني شيئاً معقولاً، بل أنّ طلبهما سخي، والذي اعتقده أنّهما كانا ثملين. وقبل أن ينفذا إطلاق الرصاص أحسّا أنّهما يقدمان على أمر مهم. فقال لي أحدهما (قيس): لك إحنا ما نرضى واحد يسب

الكاظم، إنتَ غاعد بغرفتكَ، وتسب الكاظم. (أي إننا لا نرضى بأن يسبَّ أحدُ الإمام الكاظم، لكنك أنتَ الذي تسبَّ الكاظم في زنانتك). قلتُ: لا، إني لا أسبُّ الكاظم، لماذا أسبُّه وهو إمامي؟! قال قيس: إذن إرفع الكارتون. أخذتُ الكارتون، وأسرعْتُ إلى زنانتني.

كان المراقب اللئيم (مسلم) يراقب القاطع. فقال له قيس: أنظرُ هذا في أي رقم يدخل، ثم تبعني قيس بنفسه. والأمر الذي أعطي لمسلم هو أن يعرف رقم زنانتني فقط، أمّا أكثر من هذا فلا. فما كان من مسلم إلّا أن رفع عصاه الطويلة الغليظة، وضربني على رقبتني من الخلف وهو يقول لي: (خَلْ يَطْلُعْ لَكَ فيصل السعود)، أي فليساعدك فيصل السعود. وكان يقصد من ذلك أن فيصلاً يحمي «الإخوان المسلمين»، وهو يعتقد أن (الدعوة) و(الإخوان) حزب واحد.

جاء قيس إلى زنانتني وسأل زميلي: هل صحيح أن حسن شُبر يتكلم على الحزب؟ قالوا: لا. قال: نعم، إنّه يتكلم على الحزب، ونحن نسمعه في جهاز خلف الباب تنصّت عليكم. قالوا: لا، إنّه لا يفعل. وتركهما المجرم قيس، وذهب. خلوت إلى نفسي عند صلاة الفجر، وقلتُ: اللّهم إن كان هذا في سبيلك، فأجلعه كفارةً لذنوبي، وعصمة في ديني، وبقينا في عقيدتي.

الحلاقة في قصر النهاية: خلال وجودي في قصر النهاية مدّة (٩٨) يوماً، خلقتُ رؤوسنا وذقوننا مرّةً واحدةً فقط. فقد أعطوا ماكنة الحلاقة لأحد المعتقلين، وكان يُدعى حميد، فكانوا يفتحون علينا الأبواب لنذهب إليه ونجلس على صخرة هناك. نخرج إليه واحداً واحداً، بحيث لا يجوز أن يجتمع عنده اثنان أبداً. ثم يبدأ بالحلاقة، والمسؤول واقف على رؤوسنا لئلا يتكلّم أحدنا مع الحلاق، ولو أمكن ذلك لكان إيصال المعلومات بواسطة أمرٍ يسيراً. فيخلق هذا رؤوسنا، وما امتد من ذقوننا خلال ثلاثين ثانية، أو أقل، فنرجع، وكلُّ منا يضحك على الآخر لأنّه قد خلقت له لحيته أو شعر رأسه بدون عدالة في التوزيع. أمّا الشخص الذي يُعتقل إنفرادياً في زنانتته فلن يضحك عليه أحد، ولا هو يستطيع أن يرى نفسه حيث لا يمكن أن توجد مرآة عند أحد لأنها من الآلات الجارحة التي لا تدخل للزنازين.

اعتُقل ولم يكن هو المقصود: كان أحد الذين يوزعون علينا غذاءنا شاباً في حدود العشرين من عمره، من مدينة الثورة اسمه محمود جاسم، يشتغل نجّاراً، جيء به إلى قصر النهاية في صبيحة يوم عرسه، وكان شاباً لطيفاً مؤدباً. نقل لنا قصته خلال عدة مرّات من تقديمه وجبة الغذاء لنا، حيث كان في كلّ مرة ينقل لنا جزءاً منها حسبما يسعه الوقت، وينعدم الرقيب. وقصته في الواقع تستدعي أن أثبتّها لأنّ «قصر النهاية» خليف بأن تذكر فيه قصة كهذه.

يقول محمود جاسم: قُبِضَ عليّ بمدينة الثورة في داري صبيحة يوم عرسي، وأنا في غمرة الفرح والسرور بين زوجتي العروس، وأبوي وبقية أفراد عائلتي، وكأنّ زغردات الأهل هي التي دلّت الجلاوزة على بيتنا، إذ داهم دارنا أربعة مسلّحين بالرشاشات، وسألوا: أين محمود؟ فأجبتهم: أنا. فساقوني من بين أهلي، وأنقلب العرسُ مأتماً. جيء به إلى قصر النهاية، وأدخل غرفة أبي فيصل، المجرم حسن المطير، وأوقف بين يديه، ثم دارت بينهما هذه المحاورّة:

أبو فيصل: لك غوّاد شِسْمَك؟

- سيدي محمد جاسم.

أبو فيصل: قل اسمك الصحيح يا (...).

- سيد محمود جاسم.

أبو فيصل: لك اسمك الصحيح، وإلّا قتلْتُك.

- سيدي والله محمود جاسم.

أبو فيصل: شغلْك؟

- نجّار.

أبو فيصل: هل توجد عندك هوية؟

- نعم سيدي هذه هوية الأحوال المدنية.

يتفحصها المجرم، وإذا هي (محمود جاسم نجار، من مواليد ١٩٥١). يلتفت المجرم حسن المطير إلى الذين جلبوه. قلْتُ لكم: إنّنا نريد محمود حسن، معلم المدرسة وليس محمود جاسم النجار. فيعتذر المجرمون لما حصل. ثم

يأمرهم المجرم حسن المطير، ويقول: زين أخذوه، جيد خذوه. ويودع المسكين في أقبية قصر النهاية، ويطبّق عليه برنامج قصر النهاية بحذافيره سواءً بسواء من تعذيب، وطلب اعتراف وغير ذلك. وتستمر حالته ثلاثة أشهر إلى أن يُقبض على محمود حسن نفسه، معلم المدرسة، عندها لا يبقى أي مبرر لبقاء محمود جاسم النجار أبداً. ولكن طبيعة المجرمين تأبى أن تخضع للحُلق والوجدان فيدخل هذا الثاني إلى جنب الأول ويعذبان كلاهما، المطلوب وغير المطلوب.

حدث مرّة أن نودي على أحد المعتقلين سلمان هادي عدّة مرّات فما أجابهم أحد. فأعادوا النداء، فأجابهم أحد المعتقلين من وراء الباب إنَّ سلمان هادي أطلق سراحه قبل شهر. وعكس هذه القضية حدث تماماً، ذلك أنَّهم في إحدى المرات كانوا يُنادون على علوان حسين، وعلوان حسين هذا معتقل من مدينة الناصرية، كانت زنارته قبالة زنارنتنا تقريباً. نودي عليه عدّة مرات فلم يجيبهم، وكان موجوداً، لكنّه كان يخشى من هذا النداء، فإنَّ وراءه تعذيباً قطعاً، وهو متأكد أنه لن يفرج عنه في هذه المرة. هذان الحدثان بعثا في نفسي التشاؤم والقلق. شخص يطلق سراحه قبل شهر، لكنهم يأتون الآن لطلبه، يتصورون أنه لا زال معتقلاً لديهم. وشخص آخر موجود لديهم ويطلبونه فلا يجيبهم، ويرجعون، ويعتقدون أنه قد أطلق سراحه. أترى لهذا الحدّ يعتبر الإنسان في عرف «قصر النهاية» شيئاً مهماً، لا يُدرى أهو باق عندهم، أم خرج؟! إنَّهم بين فترة وأخرى يفتحون علينا الأبواب، ويكتبون أسماءنا والتُّهم التي بموجبها تمّ اعتقالنا، وأرقام الزنانات التي نحن فيها. إذن كيف تبقى الأمور اعتبارية لهذا الحدّ؟ إنَّ هاتين الحادثتين أثارتا في نفسي القلق، واعتقدت أن المعتقل في «قصر النهاية» لا يمكن أن يكتب له النجاة إلّا إذا تلطّف به الله تعالى.

شراء المعلّبات: وحدث مرّة واحدة فقط أن جيء لنا بأحد الحانوتين يبيع بعض المعلّبات وغيرها. فقبل لنا جاء الحانوت. ومن يشاء أن يشتري شيئاً فليذهب إليه، فنُخرج أيدينا كالعادة ليفتحوا لنا الأبواب، ونُخرج الواحد تلو الآخر. وصاحب الحظّ السعيد هو الذي يخرج أولاً، لأنّه سوف يشتري الحاجات المتوفرة الجيدة. أمّا الشخص الذي يكون دوره متأخراً فلن يجد ما يريد.

والحانوتي يبيع المعلّبات المطبوخة كالبايماء والباقلاء والباذنجان، كما يبيع التمر والدبس والصابون والمناشف وماكنة الحلاقة بدون موسى، ولا مرآة، يبيع ذلك كلّ بأسعار خيالية. والمعتقلون يُقبلون عليها ويشترونها حتى لو كانت بأسعار أكثر بكثير مما هي عليه لأنهم سئموا من أكالات قصر النهاية فيقدمون على الدبس والمعلّبات كمن يقدم على مائدة نزلت من السماء.

إشتريتُ وزميلي عدّة علب من الباذنجان المطبّوخ، وسمك السردين، وبقية الحاجات وكأننا ذلك اليوم في عيد سعيد، وعرس جميل. وعندما فتحت علبة الباذنجان خطرَ لي خاطر جميل، ذلك أن أكتب شيئاً بماء الباذنجان. فالمسؤولون يأخذون من المعتقل عند دخوله كلّ أدوات الكتابة من الورق والأقلام. وكنا في زنزانتنا نفكر كثيراً، كيف نكتب؟ فكلّ منا يريد أن يكتب رسالة حتى إذا ما خرج أحدنا يوصلها إلى أهله، وكثيرٌ ممّا كان يريد أن يكتب وصيّته، لكنّه لا يجد إلى ذلك سبيلاً.

عندما اشتريتُ علبة (الباذنجان) كنتُ قد وجدت ضالتي فأتخذت من عود الكبريت قلماً، كما اتخذت ورقاً من الكارتون الذي يرسله أهلونا لتغليف الأطعمة. جرّبتُ الكتابة فنجحتُ، وكتبْتُ وصيتي، ثم أودعْتُها عند زميلي، أيهما يخرج قبلاً يوصلها إلى أهلي. أمّا هما فلم يكتباً شيئاً، لكنهما أوصيانني أن أبلغ أهليهما بأنهما لا يزالان معتقلين. ولكن الذي حصل هو أنني أنا الذي خرجتُ قبلهما فأخذتُ منهما الوصية ومزّقْتُها، وقد كنتُ كتبْتُها لولدي رياض. (أذكر منها بعض المقاطع):

وصيتي: بسم الله الرحمن الرحيم: ولدي رياض: عزيزي وقرة عيني، سلام الله تعالى عليك، وعلى أمك وأخوتك وأخواتك وجميع الأقرباء. أنا الآن في صحة جيدة أرجو كثيراً أن أراكم، أنتظر رحمة ربي.

ولدي: أعتذر إليك لأنني سوف أحملُك مسؤولية قد تكون كبيرة، وأنت لما تزل بمقتبل العمر، تنتظرُك آمال كبار، لكنك ولدي الأكبر، وبك ثقني واعتمادي. فالطريق الذي خطّطته لنفسي كان لا بُدَّ أن يوصلني إلى قصر النهاية، وأمثال قصر النهاية في ظل قانون جائر، بل في ظل انعدام القانون الإسلامي. فإذا كتب الله لي

النجاة فسوف أعاود السير على النهج الذي يوصلنا لحكم القرآن، فقد أدخل قصر النهاية مرة أخرى وألقى الله وأنا راض مطمئن. إنها مسؤولية كبرى ألقها عليك، يا فلذة كبدي، لكنّها سنّة الله في الأرض، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ولدي: أرجو أن تحترم أمك أيما احترام، تستشيرها في أمورك، وكن مثلي في معاملتي لأمي، تسلم عليها صباح كل يوم، ثم تقبّل يديها، وتجلس عندها قليلاً، فإنّ الله سبحانه وتعالى لاشك سوف يرحمك، ويجزل لك العطاء، حاول أن ترضيها دائماً، حتى لو أحسست أنها تجور عليك في طلباتها.

إنّك الآن في الصف المنتهي من الإعدادية، ينبغي لك أن تستمر في الدوام بلا انقطاع، بل وأملّي بك أن تكون سباقاً في دروسك بين أقرانك لتنجح نجاحاً باهراً، ولتدخل الكلية التي تحب.

أرجو أن تعني بأشقاك عناية فائقة، فتكون لهم كما كنت أنا. لا تدعهم يشعرون باليتم والمسكنة، اعتنِ بتربيتهم التربية التي أريدها لهم، لتكون عنايتك بتمسكهم بأهداب الدين والفضيلة دائماً. إنهم الآن في مناخ فاسد، وجو كلّ تميّع وانحطاط، في المدرسة وفي الشارع وفي التلفزيون. كن حريصاً جداً أن تجعلهم في منأى عن كلّ هذه المفاسد، ليقرأوا القرآن دائماً، وكتب السيرة النبوية وأهل البيت (ع)، وكتب الفضيلة. ثم مدارسهم ينبغي أن يكونوا السباقين فيها دوماً.

الحاج علي الحاج سالم يطلبني مقداراً من النقود، وهو إنسان ثقة، ما يقوله صحيح. إذا احتجت إلى نقود فخذ من عمك بعد إهدائه تحياتي.

ولدي: حاولوا أن تذهبوا دائماً لزيارة مراقد الأئمة (ع).

أرجو أن تغفر لي ما صدر مني بحقك من قسوة وشدة، وعذري إليك هو أنني لم أكن سيئ النية والقصد وإنّما كنت أرجو أن تكون تربيتك كما أريد.

تحياتي لك وللسيدة والدتك العزيزة مع أشواقي واحتراماتي لها، ولتسامحني عمّا صدر مني تجاهها. قبلاتي لك ولأشقاك الأعزاء. واسمح لي أن أختم هذه الرسالة، ودم لأبيك المخلص. قصر النهاية في ١٩٧٢/١/٢٠ م.

قبل إطلاق سراحني: مساء يوم ٢٩ - ٣٠ / ١ / ١٩٧٢م، وفي حوالي الساعة الحادية عشر والنصف، عندما كنتُ نائماً، سمعتهم ينادون (باسمي) ويكرّرون النداء عدّة مرّات. أجبتُهم: نعم. سألوا: وأنتُ بأية غرفة؟ قلتُ: في رقم ٢٦.

فتح عليّ الباب قصي، أحد الجلاوزة، ودفعني أمامه بقوة وهو يصيح عليّ وينهرني. ارتعتُ، وتصوّرتُ أنّهم حصلوا على اعترافات جديدة ضدّي سوف يحاسبونني عليها، وألقى عذاباً عظيماً. وصلنا إلى منتصف الطريق، وإذا بمجموعة من الجلاوزة توقفنا. كان أحدهم (مصعب) الذي ضربني بحذائه على رأسي عندما كنتُ معلقاً في زنزانة التعذيب. تكلم مصعب مع قصي سرّاً، ثم أرجعوني إلى زنزاتي وأغلق عليّ الباب، وولّى، فامتلاً قلبي فرحاً لأنني تخلصتُ من تعذيب كنتُ أحتمل أنه سينالني.

استقبلني زميلي في الزنزانة، وسألني عمّا حصل؟ نقلتُ له ما جرى، وحمدنا الله على السلامة، ورجعنا للنوم. لكنّ بعد نصف ساعة، جاؤوا ففتحوا الباب وأخرجوني ثانية. واشتدّت دقّات قلبي، إنني في هذه المرّة سوف ألقى التعذيب. والذي أخرجني هو قصي أيضاً. كان يدفعني أمامه دفعاً أشدّ من المرّة الأولى، فلم أشكّ أنه يسوقني للتعذيب. أدخلني إحدى الغرف، كان فيها ستة جلاوزة، أحدهم ماجد الشكرة. سألني ماجد عن اسمي وعمري وسكنائي، وما يتبع ذلك، ثم قال لي: إنك سوف يُطلق سراحك غداً، لكن ليكن معلومكم أنتم جماعة «الشاه» إن علمتم شيئاً ضد «الجمهورية»، فإن مكانك سيكون قصر النهاية قطعاً، ثم ضربني (راجدي).

قلتُ له: إنني لستُ من جماعة الشاه، وإنني أكره الشاه، كما أكره يزيد. وعندما تفوهت بهذه الكلمة، انبرى لي أحدهم فقال: لماذا تكره يزيد؟ قلتُ: لأنّه قتل الحسين. قال: لك غوّاد ترخّم على يزيد. فتذكرت الموقف الذي طلب مني أن ألعن الإمام موسى الكاظم، وتعجّبتُ من هذه المفارقة العظيمة.

موسى بن جعفر يجب أن يلعن، ويزيد بن معاوية يجب أن يُترخّم عليه!! قلتُ له: لا أترحم على يزيد. قال: يجب أن تترخّم عليه. قلتُ: والله لا أترحم عليه، وليكن ما يكون. قال: لن تخرج. قلتُ: لن أخرج. فتعرّضتُ لضرب

شديد، تناوب عليّ ستّهم. لكنّهم قالوا: على كلّ حال إنّك سوف تخرج صباح غد، ولكن عليك أن تكتب لنا (صحيفة أعمال).

أدخلوني غرفة فارغة، وأعطوني قلماً وورقةً فيها عدّة أسئلة. (عن الاسم والعمر والعمل والسكن والأقارب والزوجة والأولاد والفكر السياسي وعلاقاتي بطلاب الجامعات، ورأيي بالبعث، وما إلى ذلك). ثم قالوا لي: إذهب إلى غرفتك، وتهيّأ لتخرج صباح غد. ذهبْتُ، رغم ما أصابني من الضرب الشديد، فرحاً مسروراً، لحدّ لا يوصف أبداً. وأدخلوني الزنزانة، ثم أغلقوا عليّ الباب. فاستقبلني الذي كان يتصوّر أنني ذهبت للتعذيب وشرحتُ له الأمر، وفرح كثيراً، لكنّه قال: إنّهُ سوف يشعر بالوحشة بعدي. قلتُ له: إنّ الله سوف يفرّج عنك، وسوف نلتقي، ونحن أحرار.

لم أنم تلك الليلة أبداً، وأنّى لي أن أنام، فقد بدأتُ أحسب، بعد ثمانِي ساعات سوف أكون بين أهلي وأطفالي، بعد سبع ساعات، بعد ست ساعات، وهكذا. لقد أوصاني زميلي وصايا كثيرة إلى أهله وذويه.

وعند الصباح حُزمتُ الملابس والبطانيات، وبعض الآنية التي بعثها أهلي لي. أشارت الساعة إلى السابعة، فتحوّلت لي الباب وأمروني بالخروج. كان موعدنا اليومي مع المراحيض الساعة العاشرة صباحاً، لكنني اليوم خرجتُ من زنزانتِي في السابعة، ولم أذهب للمرحاض لأنني حسبتُ أنني سوف أصل إلى بيتي في غضون ساعة فقط وسوف أقضي حاجتي هناك في راحة تامة، وفي مكان نظيف، فلا داعي أن أدخل مراحيض «قصر النهاية» القذرة والمملوءة وساخة.

أخذوني إلى إحدى الغرف، وقالوا: إتّصل بأهلك تلفونياً ليحضروا لك كفيلاً. قلتُ: وأين يحضر الكفيل؟ قالوا: بالأمن العامة. قلتُ: أليس أنني سوف أخرج من هنا؟ قالوا: كواد لتطولها (أي لا تُطِل الحديث)، أخبر أهلك بالكفيل.

إتصلتُ بأهلي، فكلمتُ زوجتي وولدي، وأخبرتُهما بخبري، ففرحوا، وقالوا: إنّ الكفيل جاهز، وشعرتُ منهم أنهم كانوا على علم بخروجي وعلمتُ بعد ذلك أنهم قد سعوا سعياً حثيثاً في ذلك، ولولا ذلك لبقيتُ في قصر النهاية

إلى ما شاء الله، وفي مصير مجهول. ثم فتشوا حاجياتي تفتيشاً دقيقاً وأخرجوا منها جميع الأواني وأخذوها لهم، ثم استخرجوا منها هوية نقابة المحامين فأخذها عامر وأعطاها لمسؤوله، وكأنّه اكتشف سرّاً غامضاً، لكنّه أرجعها إليّ بالتالي.

أركبوني سيارة، وجعلوني وسط المقعد الخلفي، وإلى يميني عامر وإلى يساري مصعب. أتجهوا بي إلى جهة الرصافة، إلى مديرية الأمن العامة. ووالله عندما مررنا في الشوارع والشمس ساطعة، كنتُ كمن خرج من قبر مظلم بعد مدة طويلة، فقد كنتُ أخشى على عيني من الانبهار. ووجدتُ نفسي في سيارة تسير في شوارع الدنيا، فقد كنتُ وزميلي نتحدث ونتندر ونقول: إنّ هذا حدث عندما كنا في الدنيا، أو أننا سنفعل هذا عندما نعود للدنيا، فكأننا نعيش في القبور، وهي قبور حقاً، فالزنازة ليس فيها إلّا منفذ صغير لا يتجاوز قطره عشرة سنتمترات للتنفس وإخراج اليد منه عند الحاجة، وهي لذلك مظلمة شديدة الظلمة.

أخرجَ عامر ورقة من جيبه، وأخذ يقرأها، فرجعتُ إلى الوراء قليلاً، وتبيّنتُ ما فيها: «إنّ (فلاناً) المنتسب إلى حزب الدعوة الإسلامية، نُحيله إليكم، وتقرّر الإفراج عنه بكفالة شخص ضامن، وبمبلغ خمسة آلاف دينار!»

وصلنا إلى مديرية الأمن العامة، وحملتُ معي أسبابي. وبدأتُ أسير، فوجدتُ أنّ رجلي لا تطاوعني على المشي بسهولة. فرجلي اليسرى فيها ورم كما أنني أشعر بألم شديد في وركي. أجلسني عامر بالقرب من حراس الباب، وقال لهم: راقبوا هذا، إنّهُ موقوف. ثم عاد وأخذني معه، وأنا أحملُ أسبابي أينما ذهبت. ثم أخذوني لأحد المصوّرين في المديرية نفسها، فأخذ لي عدّة تصاوير بالنظارات، وبدونها، وبعده حالات.

ثم مسكني عامر من يدي وأخرجني إلى جانب آخر من المديرية. فجنّا إلى الشعبة الخامسة التي هي بعنوان مكافحة (الرجعية). والحقيقة أنها لمكافحة النشاطات الدينية. وعند الباب وجدت ولدي رياض والكفيل، ووالد الكفيل. وكان الكفيل من أرحامي، وكان والده بالإضافة إلى ذلك يحبني ويحترمني كثيراً.

كما كان متلهفاً لرؤيتي تلهفاً عظيماً. استقبلوني وعانقوني معانقة حارة، وكان لقاءً عاطفياً مثيراً، لكنَّ المجرم عامر سحبني منهم، وأدخلني بناية (الشعبة الخامسة)، إلى غرفة أحد الجلاوزة هناك، فنظَّم هذا محضر (الكفالة)، ووقع الكفيل. خرج الكفيل، وانتظرني هو وأبوه، وولدي رياض. أمّا أنا فقد أخذني عامر، وأدخلني غرفة مدير (الشعبة) وسلّمه الكتاب الذي يحمله معه من قصر النهاية، وخرج.

أصعدوني إلى غرفة في الطابق العلوي لأكتبَ لهم (صحيفة أعمال)، كانت بالواقع صحيفة مطوّلة جداً. بدأوا يسألونني عن كلّ شيء، عن اسمي، وعمري، وعنواني، وعملي، وسكني، ودخلي الشهري، وأولادي، وأقاربي، ودراستي الابتدائية والمتوسطة والإعدادية والجامعية، وزملائي في الدراسة، وغير ذلك. متى ابتدأت دراستي الابتدائية، ومتى انتهيت؟! وهكذا بقيّة مراحل الدراسة وهل أنّها دراسة نهائية، أو مسائية؟! ثم سألوني عن أصدقائي والأماكن التي أرتادها، والأشخاص الذين ألتقي بهم، والكتب التي أقرأها، وعن هواياتي الخاصة. وقد وجدتُ أمامهم خمسة دفاتر كبيرة (ذات طول ٤٠ سم بسمك ٥٠٠ صفحة) مكتوب عليها (حزب الدعوة الإسلامية).

بعدما أنهيتُ الإجابة أرجعوني إلى غرفة مدير (الشعبة). عندما جلستُ في الغرفة، (على الكرسي طبعاً)، توجّه لي المدير بكلمة (الله بالخير)، وهي كلمة عراقية للترحيب، ففرحتُ كثيراً وكأنَّ شيئاً من الاعتبار أُعيد لي. وكأنني تخلّصتُ من الكلمات البذئية التي يخاطبنا بها المجرمون، التي تكون فيها كلمة (كوّاد) أفضل كلمة للمخاطبة.

في غرفة مدير الشعبة الخامسة: كان في الغرفة حول المدير ثمانية جلاوزة. ابتدأني المدير قائلاً: انظرْ إلى هؤلاء الثمانية جيداً. فنظرتُ إليهم. قال: إنّ هؤلاء سوف يأتون إليك بالأسبوع مرّتين لتقدّمَ لهم التقرير. قلتُ: أي تقرير؟ قال: تكتب ما تراه، وما تسمعه، ثم ترفعه إلينا، بواسطة هؤلاء، أنظرْ إليهم جيّداً لتتعرّف عليهم. قلتُ في نفسي هذه طامة كبرى ليس لها إلّا الله. أجبتُه: لا حاجة لتكليف هؤلاء الأخوة، إنني إذا سمعتُ شيئاً فأنا سوف أوصله إليكم رأساً. قال:

لا، الأفضل أن يأتيك هؤلاء، مرّتين بالأسبوع. قلتُ: إنني مشغول ورجل مريض، قد لا أوفق بالالتزام بالكتابة، وفي أوقات محدّدة.

وبعد مناقشات طويلة قال: لا بأس، ليكنْ بالأسبوع مرّة واحدة. امتنعت عن هذا كذلك ببعض الأعذار. هنا شعرتُ بحاجتي الماسة للتبؤل، لأنني لم أذهب للتواليت منذ ٢٤ ساعة، فقلتُ لأحد الجلاوزة (وكان جالساً بجنبي): لو سمحتم لي أن أذهب إلى التواليت؟ فاستأذن المدير، قائلاً له: إنّه يريد أن يذهب للتواليت. فقال لي المدير: وافقْ أولاً لأسمح لك بذلك. قلتُ: لا أوافق. وبقيتُ أعاني من مضايقة شديدة.

عندما وجد إصراري وامتناعي، قال: لا بأس، سوف أسمح لك أن تكتب لنا بالأسبوعين مرّة فقط. قلتُ: لا أوافق أبداً. قال: أليس إنك مواطن صالح؟ قلتُ: بلى. قال: كيف تخدم وطنك؟ قلتُ: إنني خدمتُ بلادي عسكرياً كضابط احتياط عند تخرجي من الكلية، ثم إنني أربي أطفالاً تربية صحيحة، وسوف يكونون مهندسين وأطباء، وغير ذلك ليعلموا بلدهم، كما أنهم سوف يخدمون الوطن عسكرياً. قال: إن هذا لا يكفي.

وهنا ازدادت حاجتي للذهاب إلى التواليت، فكررت عليهم الطلب، فأبوا وطلبوا مني الموافقة مسبقاً. قلتُ: لن أوافق، مع أنني شعرتُ كأنّ مثائني تكاد تتمزق، وأصابني دوار شديد وصداع يكاد أن يفقداني صوابي. قلتُ له: إنني بطيء جداً في الكتابة، فقد يبعث لي أحد إخواني رسالة ولا أجب عليها إلّا بعد شهرين. إنّ التزامي بموعد معين أكتب لكم فيه قد لا أفي به، دعوني أكتب لكم متى أشاء، ومتى ما رأيْتُ، أو سمعتُ شيئاً يستحقُّ الإخبار عنه. قال: إنّ هذا كلام المحامين، ولا يفيدنا. قلتُ: إنني غير مستقر في بغداد، فقد استدعي عملي أن أذهب إلى كركوك، أو إلى البصرة، أو إلى أي بلد آخر، ومعنى هذا أنني قد لا أوفق بالالتزام بالمواعيد المضبوطة. قال: إنّ ما تقوله جيّد جداً، إنك عندما تذهب إلى كركوك فسوف تسمع أمراً مهماً، أو تذهب إلى البصرة فتسمع أمراً مهماً أيضاً، وهذا كلّه استدعي أن تكتب لنا بدون تأخير.

تحيّرتُ ماذا أجيبه؟ فكلّما أجيبه بشيء يحاول أن يأتييني من طرف آخر،

فكرتُ في نفسي أن أظهر له الموافقة لأخرج من هذا المأزق، ثم لا ألتزم له بما وعدتُ، لكنّه كان شخصاً ذكياً، فعلم ما في نفسي. قال لي: قد تفكر وتقول: إنني سوف ألتزم لكم، ثم تنقض هذا الالتزام. ليكن معلومك أنك إذا وافقت الآن فإننا سوف نعطيك اسماً رمزياً، ندوّنه عندنا ليكون هو رابطة الالتزام بينك، وبين من يأتي إليك.

أعدتُ التفكير مع نفسي، فوجدتُ أنهم يريدون أن يسقطوني في مستنقع لا أخرج منه بعد ذلك أبداً. سوف يعطونني اسماً رمزياً يدونونه عندهم. يا للعار، إنها وصمة سوف تبقى إلى أبد الأبد. أأخرج من مأزق لأقع في مأزق آخر؟! وعندما لم يجد المدير أية إستجابة مني قام من مجلسه، ورفع رجله وأراد أن يضربني برأسي، لكنه لم يفعل.

ثم سلكوا معي سلوكاً آخر، فلقد قالوا لي: إننا سوف نساعدك، ونوفر لك جميع حاجياتك، لعلك الآن تحتاج إلى المساعدة، سنعطيك راتباً يكفيك وعائلتك وزيادة. لعلك تحتاج إلى سفرة خارج العراق للاستجمام، سنوفر لك ما تريد. إننا سوف نقضي جميع أشغالك لدى دوائر الدولة. وإن أرقام التلفونات التي سنزودك بها كفيلة بأن تنجز لك جميع أعمالك، وتنفذ جميع مطالبك. عندها سوف تعيش عيشة يغبطك عليها الكثيرون، لن نريد مقابل ذلك إلا ما تزودنا به من معلومات، لا شك أنك حريص على إيصالها للسلطات حفظاً لبلادك ووطنك. ثم إننا سوف نزودك بكتاب يخولك الدخول إلى جميع الدوائر، ومقابلة المسؤولين دونما إعتراض. سوف يكون لك شأن عظيم. ومع ذلك كله فإن الناس سوف يتقربون إليك لتقضي لهم حوائجهم بمجرد إدارة قرص التلفون.

ثم قال: إن هذه الفكرة، وهذا الجاه لا نعرضه على كل أحد، وإنما للأشخاص الطيبين أمثالك، والمثقفين الذين تستفيد منهم الدولة. طبعاً إن هذا يجب أن يكون أمراً سرّياً بيننا، لا يطلع عليه أحد. قلت له: أشكرك على شعورك، أنا غير محتاج مادياً، كما أنني لست من هواة السفر والبذخ، أرجو أن تعفوني من قبول هذا العرض الذي تفضلتم به. كان المدير بين لحظة وأخرى يترك غرفته ليذهب إلى غرفة أخرى، فكان الجلّالوزة الثمانية يحتشونني ترغيباً وترهيباً.

عبد الحكيم البكاء يستجوبني : وكان أشدهم لؤماً شخص عرفتُ اسمه فيما بعد، أي بعد أن أطلق سراحه، كان هذا هو حكيم البكاء، وهو شخص لئيم، لم أجد بلؤمه أحداً. كان عندما يعود مدير الشعبة لغرفته يقول له إن (حسن) وافق أن يتعاون معنا، فيسألني المدير، فأنفني ذلك.

كان حكيم البكاء يسألني عدّة أسئلة، شعرتُ منها أنه يريد أن يظهر نفسه أمام مديره بأنه مطلع على أوضاع النجف، وأشخاص الدعاة تماماً، وعلى وضعي أنا بالذات. لا شك أنه أطلع على صحيفة (الأعمال) التي كتبها لهم، فالمعلومات التي يسألني عنها كانت بناءً على اطلاعه على هذه الصحيفة.

كان من جملة أسئلته، إنني عندما كنتُ في المتوسطة في النجف كم من المعممين كان معنا في المدرسة؟ قلتُ له: عبد العزيز الحلفي، ومحمد الهجري، وجواد الفرطوسي. قال: هؤلاء فقط؟ قلت: نعم. قال: تذكر جيداً. قلت: هؤلاء فقط. قال: وعبد العظيم البكاء، ألم يكن معكم؟ قلتُ: بلى، وقد نسيْتُ أن أذكر اسمه (علماً أن عبد العظيم كان زميلي وصديقي وكان خلوقاً ومؤدباً وكان في ذلك الوقت متديناً، وهو أخ عبد الحكيم نفسه، ولم أكن أعرف ذلك). قال: لماذا نسيْتُ اسمه؟ قلتُ: إنَّ دراستي في المتوسطة كانت قبل ستة عشر عاماً، وأنا أعلم أنني لو ذكرته فإنَّ ذلك لا يزيد، ولا ينقص من تهمتي لديكم. قال: لا، إنَّك تعمَّدتَ عدم ذكره.

ثم سألني من أقلد من العلماء، وعندما قلتُ له أنني لا زلت على تقليد المرحوم السيد محسن الحكيم قال: إنَّ البقاء على تقليد الميّت باطل، ثم أخذ يُسهبُ في هذا الموضوع ليظهر براعته أمام زملائه. قال: إنَّه رأي مرةً في دار السيد مرتضى العسكري، وكان حاضراً هناك الحاج حسين الشاكري، وشخص آخر يلبس العقال كنت تتحدث معه، من هو هذا الشخص؟ قلتُ: لا أعرف السيد مرتضى العسكري، ولم أذهب إلى داره أبداً. قال: إنَّك ذهبتَ مرةً إلى المكتبة العصرية، وكان هناك أحد المعممين أسررتَ له بالحديث. فمن هو هذا الشخص، وما تكلمتَ معه؟

قلتُ له: لم يحدث لي مثل هذا. ثم سألني عن أمور لا تمتُّ إلى قضيتي

بأية صلة، لا من قريب، ولا من بعيد. أخيراً هددني، وقال: إنه اليوم خفير هذه الشعبة، وسوف يقطعني بأسنانه إرباً إرباً.

بلغت الساعة حوالي الثانية عشر ظهراً، وقد بلغت حاجتي للتبول مبلغاً عظيماً، لكنهم للؤمهم أرادوا أن يساموني عليها كسلاح في إقناعي لما يريدون، وأنا ممتنع، لا تزعزعي تهديداتهم، ولا تغل عزمي مغرياتهم. توجه لي مدير الشعبة وقال: إن هذا إنذار نهائي لك. ما تقول فيما عرضنا عليك؟ قلت: إنني عند رأيي، لا أوافق أبداً. قال: إذن أعلم أن كتاب الإفراج هذا سوف أمزّقه، وسوف أمر بإيقافك هنا، ولن تخرج بعدها أبداً.

فكرت في ذلك ملياً، فوجدت أن موقف الأمن العام لا يمكن أن يكون بآئع من موقف قصر النهاية، وأنني قضيت هذه الفترة هناك، فلا أقض فترة أخرى هنا. قلت له: إفعل ما تشاء. قال: سوف تبقى هنا؟

ثلاث ساعات في المستنقع: دق المدير الجرس بيده، فجاء أحد الجلّالوزة، وقال له: خذ هذا إلى (الشوازي). والشوازي في لهجة العراقيين بمعنى القروء. أخذني هذا، لكنني لا أدري إلى أين يذهب، وما المقصود بالشوازي؟

استقبلنا عدّة جلاوزة في الطريق، فسألوه عن المكان الذي سنذهب إليه؟ قال: إلى السرداب، فضحكوا. حدثت نفسي لماذا هذا الضحك، وماذا يكون في السرداب؟ نزلنا فعلاً بعض السلالم، وسألت صاحبي. وحاجياتي هل أخذها معي؟ قال: لا، كيف تأخذها معك، وأين تضعها؟ ثم هبطنا أكثر، وفتح باباً حديدياً، وإذا نحن في قعر السرداب وإذا هو كما يلي: «أربعة أمتار طولاً في أربعة أمتار عرضاً، أما ارتفاعه فهو حوالي متر وربع فقط، وأما قاعه فإنه مملوء بالماء لحد ٥٠ سنتمراً. أما رائحة الماء فتكاد تُركم الأنوف، بل تقبض الأرواح، ففي هذا المستنقع يبول المعتقلون ويتغوطون».

رأيت المعتقلين في هذا المستنقع قد أحنوا ظهورهم، كأنهم في حالة ركوع وقد انتفخت وجوههم وأيديهم. أمّا أرجلهم فقد كانت في الماء، ولم أشاهدها،

لكنهم قالوا: إنَّها متورمة تورماً عظيماً. كان بعضهم قد قضى هنا ثلاثة أيام ولا يدرون إلى متى سوف يبقون؟ يقولون: إنَّهم عندما يصابون بالتعب أو النعاس أو بالصداع الشديد يجلسون في الماء فيصل إلى أكتافهم، ويستندون إلى الجدار كيما يناموا بعض الوقت، ولكن الجلاوزة يأتونهم ويضربونهم، ثم يضربون الماء بأسواطهم ليثيروا الروائح الكريهة، لتصل النجاسة إلى ما فوق رؤوسهم. أمَّا ظهورهم فكانوا يثنون من الآلام التي فيها.

وقفتُ معهم ثلاث ساعات، كان وقوفي وسط المستنقع لا أجد جداراً أستند إليه. وكان السعيد الذي فيهم مَنْ يسبق غيره فيستند إلى الجدار، لذلك فقد تحصل فيما بينهم بعض المنازعات الكلامية. شعرتُ خلال هذه الفترة أنَّ هذه الساعات القلائل تعادل جميع أنواع التعذيب الذي تعرَّضْتُ له خلال فترة الاعتقال. فقد أصابني دوار شديد، كما أحسستُ بظهري يكاد ينكسر من طول الانحناء. والغريب في الأمر أنني مع حاجتي الماسة جداً للتبول لم أستطع أن أبول في هذا المستنقع.

بعد ثلاث ساعات جاء أحد الجلاوزة، وفتح باب السرداب وقال: مَنْ حسن شبّر؟ قلتُ: أنا. قال: تعالْ معي. فخرجتُ من المستنقع، وصعدتُ معه إلى اليايسة، فأخذني إلى باحة البيت، وفتح ماسورة الماء عليّ من رأسي إلى قدمي ليغسل عني ما علّقَ بملابسي من أوساخ، فكان هذا بحد ذاته تعذيباً مؤلماً لأنَّ الفصل كان في نهاية كانون الثاني وفي شدة البرد بالإضافة إلى أنَّ الماء بارد جداً، لكنني تحمَّلتُهُ، وحمدتُ الباري على خروجي من المستنقع.

أخذني وأدخلني إحدى الغرف، ثم أغلق الباب وذهب. كانت الغرفة مفروشة (بالكنبار) إلَّا أنها مُغطّاة بالتراب، والمكان جيد جداً بالنسبة للمستنقع. وكان فيها بعض الكراسي كما كان فيها ثلاثة أشخاص، شخص يجلس بمفرده، وآخران يجلسان في الجانب المقابل.

عندما دخلتُ الغرفة أخذتُ معي حاجياتي، وغيَّرتُ ملابسي وجلستُ إلى جنب الشخص المنفرد، وسألته بصوت خافت (لأنَّ الغرفة كان يفصلها عن غرفة أخرى باب داخلي مغلق، خشيتُ أن يكون في الغرفة المجاورة مَنْ يسمعنا)

سألت عن قضيته؟ قال: إنه كردي من أربيل جاء إلى بغداد قبل ثلاثة أيام وكان ضعيفاً على صديق له في داره فجاء الجلاوزة وأخذوا صاحبه كما أخذوه هو أيضاً. جاؤوا به إلى هنا، أمّا صديقه فلا يعلم عنه شيئاً، ثم سألني هو عن قضيتي فشرحتُها له باختصار، ثم سألتُه متى تذهبون إلى المرافق؟ فقال عند مغيب الشمس، كما سألتُه أينَ ينام ليلاً؟ فقال في هذه الغرفة نفسها يدخل تحت هذا الكنبار ليحمله غطاءً له. قلتُ له: في هذه الليلة سوف أعطيك أغطية جيدة وكافية. ثم رجاني لا أبوح لأحد بمشكلته، فأجبتهُ إلى ذلك. كما طلبتُ منه أيضاً أن يلتزم هو بما التزمتُ به. ثم سألتُ الشخصين عما جيء بهما إلى هنا؟ فعرفتُ أنهما قبض عليهما لقضايا تهريب.

حاولتُ أن أتعرّف لجهة القبلة من اتجاه الشمس، فقد كان في الغرفة شبّاك يمكنني منه التعرّف على ذلك. وصرّت أفكر بصلاتي كيف أصل إليها؟ وكيف أتوضأ، كما صرّت لا أتحمل المضايقة الشديدة من حاجتي للتبول. بقيتُ في هذه الغرفة فترة ثم فتحوا الباب وسألوا عن أسمائنا واحداً واحداً، وذهبوا. فتوقعتُ أن يكون ذلك دليلاً على بقائي بالاعتقال ليعرفوا الموجود لديهم من المعتقلين. ثم بعد فترة أخرى فتحوا الباب أيضاً، وأخرجونا أربعتنا. أوقفونا صفّاً واحداً، الواحد تلو الآخر، ثم أمرونا بالمسير. سار أحد الجلاوزة معنا، وأدخلنا غرفة صغيرة، شديدة الرطوبة يكاد الإنسان يحسّ أنه في ثلاجة. أحسستُ بعد قليل أن الرطوبة بدأت تصعد إلى ساقي، فحاولتُ أن أجلس على الأرض الجرداء، فمشت الرطوبة في جميع بدني. فقمّتُ على قدمي وحاولتُ أن أسير في هذه الغرفة الصغيرة لأتفادى الرطوبة، لكنني عبثاً حاولت ذلك. كانت هذه الرطوبة مدعاةً لأنّ أشعر بحاجة شديدة للتبول أيضاً. وضعونا في هذه الغرفة، وجلس أحد الجلاوزة على كرسي لدى الباب، فعرفتُ أن بقاءنا هنا مؤقت لأنّ باب الغرفة كان غير صالح للانغلاق. وبعد فترة أخرى أخرجونا وأرجعونا إلى غرفتنا الأولى وأغلقوا علينا الباب وذهبوا.

الخروج من المعتقل: وفي حوالي الساعة الرابعة والنصف، جاء أحد الجلاوزة وأخرجني، وذهب بي إلى غرفة المدير، فوجدته واقفاً وبنيده مفاتيح

خزانات الغرفة كأنه يريد أن يغادر دائرته، لكنه يحاول أن يكسبني قبل ذلك. قال لي: ها، ما تقول؟ تبقى هنا؟ قلتُ له وقد بلغت روعي التراقي: إنني الآن أمامك إنسان ضعيف. قال: إنسان ضعيف؟ قلتُ: نعم، إنني إنسان ضعيف جداً، وإنَّك تستطيع أن تفعل ما تشاء، ولكنَّ الذي أرجوه هو أن أعرف مصيري لديكم: إمَّا أن أكون معتقلاً فأحشر مع المعتقلين، وإمَّا أن تُطلقوا سراحي لأذهب إلى بيتي. مدَّ المدير يده إليَّ وصافحني، وقال لي: إذهب إلى بيتك. وأمر البواب بفسح المجال لي للخروج.

أسرعتُ إلى حاجياتي، وحملتُها على رأسي، وإلى الشارع العام حيث استأجرتُ سيارةً إلى البيت.